الفصل الخامس: عرض وتحليل بعض المآخذ والشبهات حول أبي مزيريق وتفسيره

في هذا الفصل قام الباحث بعرض ودراسة لبعض من القضايا التي أوردها أبو مزيريق في تفسيره، واختار الباحث هذه القضايا لتفرد المفسر برأيه الخاص فيها، أو لكونها من المآخذ التي أخذت عليه لمخالفته ما عليه جمهور المفسرين.

المبحث الأول: موقفه من النسخ في القرآن الكريم

قام الباحث بدراسة موقف أبي مزيريق من النسخ في القرآن الكريم، من خلال تفسيره للآيات المنسوخة في القرآن الكريم، وقد عرف الباحث النسخ لغة واصطلاحاً مبينا مذاهب العلماء فيه، ثم ذكر موقف أبي مزيريق منه وقام بعرض بعض الآيات المنسوخة في كتاب إرشاد الحيران، ليتبين بذلك موقف الشيخ من النسخ.

المطلب الأول: في تعريف النسخ لغة واصطلاحاً

يطلق النسخ عند أهل اللغة بإطلاقين: الأول الإزالة، نسخ الشيء نسخاً أزاله، كقولهم نسخت الريح آثار القوم، ومنه أيضاً قولهم: نسخت الشمس الظل، أي أزالته ونسخ الشيب الشباب، ويقال: نسخ الله الآية أزال حكمها،[549] وفي التنزيل العزيز: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾[550].

(549) إبراهيم مصطفى وآخرون. د ت. *المعجم الوسيط*. د م. دار الدعوة. جـ 2. ص 917.

(550) القرآن. البقرة 2: 105.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ويقال نسخ الحاكم الحكم أو القانون أبطله.

الثاني النقل: أحياناً يراد من النسخ النقل كقولك: نسخت الكتاب إذا نقلته حرفاً بحرف.

والمراد هنا الأول وهو النسخ بمعنى الإزالة والإبطال[551].

أما النسخ في الاصطلاح: فهو أن يرد دليل شرعي متراخيا عن دليل شرعي مقتضياً خلاف حكمه، فهو تبديل بالنظر إلى علمنا وبيان لمدة الحكم بالنظر إلى علم الله تعالى[552].

تعريف آخر: إنه رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر[553].

تعريف آخر: هو الخطاب الدّال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدّم على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه[554].

المطلب الثاني: أنواع النسخ وبيان أقوال العلماء فيه

النسخ من القضايا الثابتة قديماً فلا يقبل فيها خلاف كبير سوى ما ينقل عن أبي مسلم الأصفهاني من إنكاره للنسخ، فجمهور العلماء يرون النسخ واقع شرعاً وجائز عقلاً، ومما دعا الباحث لبحث هذه المسألة ما وجده عند أبي مزيريق من كلام يوهم أنه ينكر النسخ، فقام الباحث بذكر أقوال العلماء في

---

(551) ابن منظور، محمد بن مكرم. د ت. *لسان العرب*. ج 3. ص 61. وإبراهيم مصطفى وآخرون. د. ت. *المعجم الوسيط*. دار الدعوة. ج 2. ص 917.

(552) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. 1403هـ -1983م. *كتاب التعريفات*. المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. بيروت -لبنان: دار الكتب العلمية. ص 240.

(553) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي. 1417هـ/ 1997م. *الموافقات*. أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (المحقق). د م. دار ابن عفان. ج 3. ص 431.

(554) التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي. 1996م. *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*. تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم. (تحقيق): د. علي دحروج. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون. ج 2. ص 1692.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

النسخ؛ ثم عقب ببيان رأي أبي مزيريق من النسخ باستعراض رأيه من خلال دراسة في الآيات المنسوخة في تفسيره.

أولاً: أنواعه ذهب جمهور العلماء المثبتين للنسخ؛ إلى تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

1-نسخ التلاوة والحكم معاً: مثاله ما في الصحيح من حديث عائشة -رضي الله عنها- "كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ، بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ " (555).

ويمثلون لما بمثال آخر من حديث أنس بن مالك قال: كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول: فلا أدري، أشيء نزل عليه أم شيء يقوله وهو يقول؟ - " لو كان لابن آدم واديان من مال، لابتغى لهما ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب "(556).

2-نسخ التلاوة مع بقاء الحكم: ويمثلون له بالشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم. (557)

---

(555) النيسابوري، مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. كتاب الرضاع. باب التحريم بخمس رضاعات. حديث رقم 1452. ج 2. ص 1075.

(556) هذا الحديث ورد عند كثير من المحدثين بإسناد صحيح غير أن التصريح بكونه من القرآن لم يرد فيه نص. ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. *مسند الامام أحمد بن حنبل*. ج 19. ص 259. حديث رقم 12228. تعليق المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(557) هذا الحديث ورد عند كثير من المحدثين بإسناد صحيح، ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. 2001 م. *مسند الامام أحمد بن حنبل*. ج 35. ص 473. حديث رقم 21596. تعليق المحقق: رجاله ثقات رجال الشيخين غير كثير بن الصلت، فقد روى له النسائي، وهو ثقة. وابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. 2009 م. *سنن ابن ماجه*. كتاب الحدود. باب الرجم. ج 3. ص 588. حديث رقم 2553.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

3-نسخ الحكم مع بقاء التلاوة: يجعلون له مثالاً قوله تعالى: ﴿۞ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[558] هذا الحكم كان أولاً؛ ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ[559]﴾[560].

ثانياً: أقوال العلماء فيه: اختُلف في النسخ على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: يرى جمهور المسلمين أن النسخ جائز عقلاً وواقع سمعاً، وأمثلته كثيرة في كتب التفسير عندهم، ولم يخرج من هذا الإجماع قديماً سوى أبي مسلم الأصفهاني، وأيضاً عليه إجماع النصارى قديماً[561]، وهم كذلك رأي العيسوية وهم طائفة من اليهود[562].

المذهب الثاني: إنكار وقوعه سمعاً وجوازه عقلاً، وهذا قول النصارى في هذا العصر، ويستخدمونه للطعن في الإسلام، وشن حملات التشكيك في النسخ، وهذه الفرية أيضا يقول الشمعونية وهم طائفة من اليهود[563].

---

(558) القرآن. البقرة 2: 114.

(559) القرآن. البقرة 2: 143.

(560) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد. 1986 م. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم. المحقق: عبد الغفار سليمان البنداري. بيروت:
دار الكتب العلمية. ص 9. والزرقاني، محمد عبد العظيم. 1995 م. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. جـ 2 ص 214. والقطان، مناع بن خليل . 2000م. *مباحث في علوم القرآن*. ط 3. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. ص 245.

(561) غير أن النصارى في هذا العصر هم أشد من يشنع على المسلمين في مسألة النسخ، فإلى جانب مخالفتهم الحق فقد خالفوا قول أسلافهم.

(562) الزرقاني، محمد عبد العظيم. 1995 م. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. جـ 2 ص 186. والقطان، مناع بن خليل . 2000م. *مباحث في علوم القرآن*. ط 3. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. ص 245.

(563) الزرقاني، محمد عبد العظيم. 1995 م. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. جـ 2 ص 186.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المذهب الثالث: وهو رأي القائلين بجوازه عقلاً، غير أنهم أنكروا وقوعه سمعاً، أن النسخ جائز عقلا، وهو قول العنانية وهي الطائفة الثالثة من طوائف اليهود، وينسب هذا الرأي إلى أبي مسلم الأصفهاني، ولكن على اضطراب في النقل عنه(564).

هذا مجمل قول العلماء وأهل الأديان في قضية النسخ، ونستخلص مما سبق أن لعلماء الإسلام فيه قولين:

القول الأول وهو رأي جمهور العلماء: النسخ جائز شرعاً وعقلاً، وأمثلته كثيرة في كتب التفسير، ونقل كثير من العلماء الإجماع على وقوع النسخ، قال السيوطي –رحمه الله–: النسخ مما خص الله به هذه الأمة وقد أجمع المسلمون على جوازه وأنكره اليهود(565)، ونقل الزرقاني الاجماع عليه قبل أن يظهر أبو مسلم الأصفهاني(566).

القول الثاني وهو رأي منكري وقوع النسخ في القرآن الكريم، لم يقل به قديماً سوى أبي مسلم الأصفهاني(567).

المطلب الثالث: رأي الشيخ أبي مزيريق في النسخ

من خلال دراسة بعض الآيات في تفسير إرشاد الجنان يتبين لنا موقف الشيخ من قضية النسخ، وموقفه رحمه الله أقرب للمعارضين للنسخ، فنجده يثبت نسخ القرآن للشرائع التي قبله، فعند قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(564) الزرقاني، محمد عبد العظيم. 1995 م. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. ج 2 ص 187.

(565) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. 1394هـ/ 1974 م. *الإتقان في علوم القرآن*. ج 3. ص67.

(566) الزرقاني، محمد عبد العظيم. د ت. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. ج 2 ص 186.

(567) المصدر نفسه.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

﴿ ﴾، رداً على اليهود المتمسكين بما عندهم من التوراة، وفي السياق ذاته يمنع دلالتها على جواز النسخ في القرآن، ويرد على القائلين به من الفقهاء والأصوليين، وهذا نص كلامه: يوجه الله الرسول ﷺ وأمته إلى موقف اليهود الذين اعترضوا على نسخ الإسلام بعض شريعة موسى عليه السلام، بنقل أحكامها إلى شريعة محمد ﷺ، وهو ما كان صالحاً لجميع العصور وكافة البشر من غير زيادة أو قصور... أو اعترضوا على إلغاء أحكام شريعة موسى عليه السلام بترك العمل بها بالكلية؛ لأنها أحكام خاصة باليهود ولا تصلح لغيرهم فأبدلت بخير منها، مثل ما كان من محرمات المطاعم والملابس والعمل يوم السبت وأشياء أخرى تتعلق بالعبادات والمعاملات، وهو ما نص عليه القرآن صريحاً بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿١٥٧﴾﴾ (568)

فيرى المفسر أن الكلام هنا في معرض التصدي لليهود من قولهم إن شريعتهم باقية للأبد، فرد القرآن عليهم هذا القول، وأعلمهم بأن هذا من الله تعالى وحكمه وهو يفعل ما يشاء، ويختار ما يريد.

من هنا نعلم أن هذه الآية جاءت مبينة لرفع بعض أحكام الشرائع السابقة، وإتيان أحكام أنسب وأصلح للناس، ونقل ما فيها من صلاح يتمشى مع الإنسان في كل زمان ومكان، وجاءت هذه الآية رادة لما يعتقده اليهود ويدعونه من أن أحكام التوراة باقية فيها لم تنقل ولم تبدل ولن تنقل ولن تتبدل، وأنهم مأمورون بالعمل بها دون العمل بما جاء به القرآن.

---

(568) القرآن. الأعراف. 7: 157.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بعد قصر المفسر هذه الآية في الرد على اليهود؛ نجده ينتقل للرد على المفسرين بقوله: وما نجده في أقوال بعض المفسرين من أن المراد من قوله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ نسخ أحكام القرآن بعضها ببعض، أو نسخ أحكام القرآن بأحكام السنة أو العكس؛ فهو من تخريجات الفقهاء أصحاب الأصول من علم الفقه واجتهاداتهم فيه؛ ليدللوا على أن النسخ المبحوث فيه عندهم جاء به القرآن الكريم، غير أن هذه الآية لا تدل دلالة قاطعة، وإنما هو استنتاج مما يوهمه مفهومها وعموم قوله تعالى: ﴿ءَايَةٍ﴾، وما استندوا إليه من مأثورات ساقها أصحابها للتدليل على ما استنتجوه، والدليل إذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال كما يقول أهل النظر، وهذه الآية ليست في معرض بيان الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال المكلفين، بل هي في موقع الرد على اليهود عندما ادعوا بأن كتابهم لا ينسخ، وأن أحكامه لا تتبدل[569].

وفي تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾[570]، قال: المراد بالتبديل هنا تبديل حكم بحكم من حيث التفصيل بعد الاجمال والتخصيص بعد التعميم، أو تحويل حكم بحكم آخر، يفيد التيسير بعد الحرج والتضييق كما قال تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾[571]، فالمراد بالآية هنا الكلام التام من القرآن، والمراد بالتبديل هو النسخ ببعض ببدل[572].

(569) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 1. ص 237.

(570) القرآن. النحل 16: 101.

(571) القرآن. الأنفال. 8: 67.

(572) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 7. ص 78، 79.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

-خلاصة رأي المفسر

عندما ننظر في تأويل المفسر لهاتين الآيتين، وهما مما يستدل به الجمهور على جواز النسخ في القرآن، نستنتج تعارضاً واضطراباً في كلامه، فهو يرد صراحة على القائلين بالنسخ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَآ﴾ ويقصر هذه الآية في الرد على اليهود، بل ويرد على المفسرين باستشهادهم بها؛ وأنها لا تدل دلالة قاطعة على مرادهم، ثم نجد تفسيره لآية النحل، يفيد جواز النسخ مع أنه لم يصرح بلفظ النسخ صراحة؛ مثل قوله: تحويل الحكم بحكم آخر، يفيد التيسير بعد الحرج والتضييق، وكذلك قوله: والمراد بالتبديل هو التعويض ببدل؛ ولعلنا نستنتج من هذا أن المفسر ينهج منهجاً قريباً من منهج القائلين بأنه لا نسخ في القرآن الكريم، ويدفع التعارض بين الآيات بأنها من قبيل التخصيص أو التقييد، وكثيراً ما يستخدم ألفاظ "التدرج" "التخفيف" مع أنه يوافق الجمهور بعدم العمل بما هو منسوخ عندهم، فيمكن القول بأن الخلاف لفظي، وصرح مرة بلفظ النسخ في تفسير قوله تعالى: ﴿....وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ....﴾ (573) وذلك بقوله: هذه الآية تضمنت حكماً فيه توسعة ورخصة، ثم انعقد الإجماع على نسخه (574).

المطلب الرابع: في موقفه من بعض الآيات المنسوخة

ذهب بعض العلماء إلى التوسع في المنسوخ من القرآن حتى جمع بعضهم ما يزيد على المائتين آية منسوخة، لكن المحققين منهم لم يوافقوا إلا على القليل الذي لا يتجاوز العشرين، فعلى سبيل المثال

(573) القرآن. البقرة 2: 183.

(574) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 337.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

جمع الشيخ مصطفى زيد رحمه الله (293) آية من (72) سورة ادُّعِيَ فيها النسخ، وقرر رحمه الله في نهاية كتابه أن الآيات المنسوخة ست آيات فقط[575].

سيذكر الباحث في هذا المبحث بعض الآيات المنسوخة في رأي أغلب المفسرين، لنرى كيفية تعامل الشيخ أبو مزيريق معها، وفق ما قرره الباحث من منهجيته تجاه النسخ في القرآن الكريم.

-دراسة تطبيقية من تفسير إرشاد الحيران:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعاً إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾[576]، قال في هاتين الآيتين: "كان معمولاً بهما قبل تكملة أحكام العدة وقبل تكملة أحكام الطلاق، وهو ما يعرف بالتدرج في التشريع، وهو كثير في غير هذين الحكمين مر بنا حكم القصاص، وحكم الوصية، وحكم الصيام، وحكم الجهاد، وحكم الحج، وحكم الخمر والميسر، وسيمر بنا حكم الربا وحكم حد الزنا، ثم تحدث عن عادات الجاهلية في العدة، ثم قال: ثم جاء حكم العدة كاملاً مستوفياً بحكمته ومدته وكيفيته حسب ما جاء في الكتاب والسنة والإجماع"[577].

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[578] قال: فالله سبحانه وتعالى يشعر المؤمنين بتقرير ضريبة للجماعة من مال الذي يريد أن يطلب مكالمة خصوصية في صورة صدقة

---

(575) مصطفى زيد. 1987 م. *النسخ في القرآن الكريم*. ط 3. مصر: دار الوفاء. ج 2. ص 846.

(576) القرآن. البقرة 2: 238.

(577) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 438.

(578) القرآن. المجادلة. 58: 12.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

يقدمها قبل أن يطلب المناجاة والخلوة... ثم جاءت الآية التالية برفع هذا التكليف بعد ما أدى مهمته المرحلية[579]: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾[580].

وقد ذهب الشيخ الشنقيطي إلى أن هذه الآية الوحيدة التي اتفق العلماء على كونها منسوخة[581].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾[582] قال: "هذا الخبر كناية للمسلمين بنصر العدد منهم على عشرة أمثاله من عددهم، وهذا يستلزم وجوب ثبات العدد منهم لعشرة أمثاله، وهو من الناحية التشريعية حكم شديد شاق اقتضته قلة عدد المسلمين يومئذ وكثرة عدد المشركين... ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ فَإِن تَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[583] هذا التخفيف جاء بعد الحكم الأول مراعاة لما يقتضيه الحال من قلة

---

(579) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 11. ص 376.

(580) القرآن. المجادلة. 58: 13.

(581) عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي. د ت. *الآيات المنسوخة في القرآن الكريم*. القاهرة: مكتبة ابن تيمية. ص 87.

(582) القرآن. الأنفال. 8: 66.

(583) القرآن. الأنفال. 8: 67.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وكثرة، فكان التخفيف هنا مناسباً ليسر هذا الدين روعي في هذا الوقت ولم يراع قبله لمانع منع من مراعاته، وهذ الحكم الأخير ماضٍ لن يلحقه تغيير[584].

نستطيع أن نستخلص مما سبق أن المفسر عنده وجهة نظر واجتهاد فيما يخص دلالة بعض الآيات على النسخ، يظهر جلياً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَآ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾، وهما مما يستدل بهما الجمهور على النسخ، وإذا نظرنا من الناحية العملية فإن الشيخ يقر بالنسخ ويقول به في بعض الآيات، وإن كان في الغالب لا يصرح بلفظ النسخ، فعلى هذا يكون الخلاف لفظياً فقط، والمفسر رحمه الله مقر بالنسخ على مذهب الجمهور، وقد سبق التنويه على أن العلماء القائلين بالنسخ مختلفون في عدد الآيات قلة وكثرة.

وهذا الاختلاف الاصطلاحي القديم بين القائلين بالنسخ فبعضهم يتوسع في إطلاق كلمة النسخ فتشمل التقييد والتخصيص، وبعضهم يحصرها على ما اصطلح عليها الأصوليون، فمن هنا نجد بعضهم يصل بالآيات المنسوخة إلى عدد يتجاوز المائتين، وبعضهم يرجعها إلى ست آيات كما سبق نقله عن الشيخ مصطفى زيد رحمه الله، وللعلامة الشنقيطي تعليق رائع في هذا الباب حيث جمع دعاوى النسخ عند العلماء رحمهم الله فجاءت متباينة منهم من أوصلها إلى 293 وبعضهم إلى خمس فقط[585]، والشنقيطي نفسه بعد ذكره لكل هذه الأقوال رجح تسع آيات فقط[586].

---

(584) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 5. ص 134.

(585) عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي. د ت. *الآيات المنسوخة في القرآن الكريم*. ص 94.

(586) المصدر نفسه. ص 95، 131.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المبحث الثاني: موقفه من حقيقة السحر

المطلب الأول: تعريف السحر لغة واصطلاحاً، وبيان آراء العلماء فيه

أولاً: تعريف السحر لغة: هو كل ما لطُف مأخذه ودق[587].

ثانياً: تعريفه اصطلاحاً: عرفه ابن عرفة بقوله: أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ مُسَبَّبٌ عَنْ سَبَبٍ مُعْتَادٍ كَوْنُهُ عَنْهُ[588].

ثالثاً: آراء العلماء في حقيقة السحر

اختلف أهل العلم في السحر هل له حقيقة ووجود وتأثير حقيقي، أم هو مجرد تمويه وتخييل، على مذهبين.

المذهب الأول: ذهب أصحابه إلى أن السحر له حقيقة وتأثير على الناس، وهو مذهب جمهور العلماء والمفسرين، ويرون أن السحر على نوعين:

النوع الأول: قسم هو تمويه ومخرقة وتهويل وشعوذة وإيهام ليس له حقائق، أو له حقائق لكن لطف مأخذها، ولو كشف أمرها لعلم أنها أفعال معتادة يمكن لمن عرف وجهها أن يفعل مثلها، ومن جملتها ما ينبني على معرفة خواص المواد والحيل [illegible] ونحوها، والجامع لذلك عن أن يكون داخلا في مسمى السحر، كما قال تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ

(587) الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. 2005 م. *القاموس المحيط*. إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي. الطبعة: الثامنة. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. جـ 1. ص 405.

(588) محمد بن قاسم الأنصاري. 1350هـ. *شرح حدود ابن عرفة*. بيروت: المكتبة العلمية. ص 492.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿﴾[589]، وهذا ما لم يكن خفاء وجهه ضعيفاً فلا يسمى سحراً اصطلاحاً، وقد يسمى سحراً لغة، كما قالوا: (سحرت الصبي) بمعنى خدعته[590].

النوع الثاني: ما له حقيقة ووجود وتأثير في الأبدان، فقد ذهبوا إلى إثبات هذا القسم، وهو مذهب الحنفية على ما نقله ابن الهمام[591]، والمالكية[592]، والشافعية[593]، والحنابلة[594].

استدل الجمهور بأدلة من الكتاب والسنة منها:

قوله تعالى: منها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝﴾[595]، والنفاثات في العقد: هن السواحر من النساء، فلما أمر

(589) القرآن. الأعراف. 7: 115.

(590) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت. 1427. *الموسوعة الفقهية الكويتية*. مصر: مطابع دار الصفوة. جـ 24. ص 262.

(591) وقال أصحابنا: للسحر حقيقة وتأثير في إيلام الجسام خلافا لما نسب ذلك وقال إنما هو تخييل. ابن الهمام ،كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي. د ت. *فتح القدير*. دار [illegible]. جـ 6. ص 99.

(592) قال القاضي عبد الوهاب البغدادي: والسحر له حقيقة خلافا لمن نفاه، لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ {القرآن. البقرة 2: 101} فجعلهم كفارا فثبت أن له حقيقة. ابن نصر، محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي. د ت. *المعونة على مذهب عالم المدينة*. المحقق: حميش عبد الحق. مكة المكرمة: المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز. جـ 1. ص 1364.

(593) وقال أبو جعفر الاسترابادي من أصحابنا: لا حقيقة للسحر وإنما هو تخييل، والصحيح أن له حقيقة كما قدمناه، وبه قطع الجمهور، وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. *روضة الطالبين وعمدة المفتين*. المحقق: عادل أحمد عبد الموجود – على محمد معوض. دار الكتب العلمية. جـ 7. ص 198.

(594) قال ابن قدامة: وله حقيقة فمنه ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه وما يبغض أحدهما الى الآخر أو يحبب بين اثنين. ابن قدامة المقدسي، أبو محمد عبد الله بن أحمد. 1968م. *المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني*. مصر: مكتبة القاهرة. جـ 9. ص 28.

(595) القرآن. الفلق. 113: 1، 2، 3، 4.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

بالاستعاذة من شرهن علم أن لهن تأثيرا وضررا[596].

ومنها قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[597].

ومن السنة ورد في الصحيح من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: " أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي، أَتَانِي رَجُلاَنِ: فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِيمَا ذَا، قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ " فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: «نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» فَقُلْتُ اسْتَخْرَجْتَهُ؟ فَقَالَ: «لاَ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا» ثُمَّ دُفِنَتِ البِئْرُ[598].

المذهب الثاني: ذهب أصحاب هذا المذهب إلى إنكار كل أنواع السحر، وإلى هذا القول ذهب المعتزلة وأبو بكر الرازي الحنفي المعروف بالجصاص، وأبو جعفر الإسترابادي والقفال المروزي من الشافعية، وفي العصر الحديث ذهب إلى هذا المذهب أصحاب المدرسة العقلية الحديثة، ويرون أنه في الحقيقة تخييل من الساحر على من يراه، وإيهام له بما هو خلاف الواقع، وأن السحر لا يعدو أن يستعمل الساحر سماً أو دخاناً

(596) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. 2000 م. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. المحقق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة. ج 24. ص 711.

(597) القرآن. البقرة 2: 101.

(598) البخاري، محمد بن اسماعيل. *صحيح البخاري*. كتاب بدء الخلق. باب صفة إبليس وجنوده. ج 4. ص 122. حديث رقم (3269).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يصل إلى بدن المسحور فيؤذيه، ونقل مثل هذا عن الحنفية، وأن الساحر لا يستطيع بسحره قلب حقائق الأشياء، فلا يمكنه قلب العصا حية، ولا قلب الإنسان حمارا[599].

استدل القائلون بعدم تأثير السحر، وأنه مجرد تخيل وأوهام بالآيات التي ورد فيها ذكر نوع من السحر وهو ما فيه الخداع والتمويه والتخييل، من مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾[600].

المطلب الثاني: موقف الشيخ أبي مزيريق من السحر

قبل الحكم على رأي المفسر في قضية السحر يتوجب النظر في تفسيره للآيات التي تناولت السحر، قال -رحمه الله- في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ...﴾[601]، السحر: الشعوذة، وهي تمويه الحيل بإخفائها تحت حركات وأحوال يظن الراقي أنها هي المؤثرة مع أن المؤثر خفي، ويطلق السحر على الخديعة، ويطلق على ما على ظاهره وخفي سببه وهو التمويه والتلبيس وتخييل غير الواقع واقعا، ويطلق على ترويج المحال، وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكان الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق، وخيل الشيء على غير حقيقته قد صرف الشيء عن وجهه[602].

---

(599) الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي. 1405 هـ. *أحكام القرآن*. المحقق: محمد صادق القمحاوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. جـ 1. ص 52. والجمل، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري. د ت. *حاشية الجمل "فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب"*. بيروت: دار الفكر. جـ 9. ص 783. ووزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت. 1427 هـ. *الموسوعة الفقهية الكويتية*. جـ 24. ص 262.

(600) القرآن. الأعراف. 7: 115.

(601) القرآن. البقرة 2: 101.

(602) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 1. ص 190.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ (603)إن الذي صنعوه كيد وتمويه، فلا يقف أمام الحق النزيه، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ بل يخيب وينتهي كل ما عنده من الحيل والتمويه(604).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾(605)، قال: والتعبير يدل على أن العصا تحولت فعلاً إلى ثعبان تدب فيه الحياة، وأن يده حين نزعها كانت بيضاء فعلاً، يدل على هذا بقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ فلم يكن الأمر تخييلاً؛ كما هو الحال في السحر الذي لا يغير طبائع الأشياء، إنما يخيل للحواس بغير الحقيقة(606).

بالنظر فيما سبق يتبين لنا مذهب المفسر في أن السحر لا حقيقة له وإنما هو خداع وتمويه، وحيل يتعلمها الساحر ليلبس بها على الناس ويخدعهم، وذكر المفسر صراحة أن السحر ليس له حقيقة عند تفسيره لكيفية إبطال السحر، فقال: إبطال السحر إظهار أنه تخييل ليس بحقيقة(607).

ويستدل صراحة لبطلان السحر بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾(608)، قال الجملة الأولى وهي قوله تعالى:

---

(603) القرآن. طه. 20: 68.

(604) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 7. ص 482.

(605) القرآن. الشعراء. 26: 31، 32.

(606) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. جـ 8. ص 531.

(607) المصدر نفسه. جـ 5. ص 415.

(608) القرآن. يونس 10: 81.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ تدل على بطلانه، والجملة الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ تعليل لبطلانه[609].

وحيث سحر النبي ﷺ ثابت بالحديث الصحيح يثبته جمهور المفسرين، قال القرطبي[610]: مع اتفاق المفسرين على أن سبب نزولها "سورة الفلق" ما كان من سحر لبيد بن الأعصم، وهو مما خرجه البخاري ومسلم[611] وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم. وقال الشنقيطي[612]: والقصة مشهورة صحيحة. ففي هذا الحديث الصحيح: أن تأثير السحر فيه ﷺ سبب له لمرض. بدليل قوله: "أما الله فقد شفاني"، وفي بعض الروايات الثابتة في صحيح البخاري وغيره بلفظ: فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال مطبوب. أي مسحور. وهو

(609) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ص 43.

(610) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري. 1384هـ-1964م. *الجامع لأحكام القرآن*. جـ 2. ص 46.

(611) وهو كما قال فالحديث مشهور في كتب السنة، ورواه البخاري ومسلم عن عائشة، رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق، يقال له لبيد بن الأعصم، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا ثم قال: " يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلاَنِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ " فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلاَ اسْتَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: «قَدْ عَافَانِي اللَّهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا» فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ. البخاري، محمد بن اسماعيل. *صحيح البخاري*. كتاب الطب. باب السحر. جـ 7. ص 137. حديث رقم (5766). ومسلم بن الحجاج. *صحيح مسلم*. كتاب السلام. باب السحر. حديث رقم(2189). جـ 4. ص 1719.

(612) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني. 1415هـ-1995م. *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. (تحقيق): مكتب البحوث والدراسات. جـ 4. ص 58.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

تصريح بأن السحر سبب له وجعاً، وعلى هذا عامة المفسرين قديماً[613]؛ فلم ينكر أحد هذه القصة سوى منكرين حقيقة السحر تماشياً مع ما ذهبوا إليه من أن السحر كله لا حقيقة له.

أما الشيخ أبو مزيريق فيرى أن النبيﷺ معصوم من كل ما يؤذيه، وأن العصمة عامة تشمل صيانته من القتل والسحر، وأن ذلك مناف للقرآن في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴿٤٧﴾﴾[614]، ويأتي هذا على وفق مذهبه في أن السحر لا حقيقة له[615].

المبحث الثالث: موقفه من حوار التقريب بين الأديان

من القضايا المهمة في هذا العصر والتي دعا لها كثير من العلماء والدعاة ألا وهي قضية الحوار بين الأديان أي أهل تلك الديانات والإسلام، وهذه القضية من قضايا الدين المهمة التي تمس العقيدة الإسلامية، فيجب تعرفها تعريفا واضحا فهذه الدعوة تحمل وجوهاً كثيرة، وهي قديمة جديدة؛ فقد دعا لها القرآن الكريم في آيات كريمة منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[616]، وقوله عز من قائل: ﴿وَلاَ تُجَادِلُواْ أَهْلَ

---

(613) الطبري، محمد بن جرير. 2000 م. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ج 2. ص 437.
أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. 1999 م. *تفسير القرآن العظيم*. المحقق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية. ج 8. ص 538.والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال. 1993م. *الدر المنثور*. بيروت: دار الفكر. ج 8. ص 687. والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري. 1384هـ -1964م. *الجامع لأحكام القرآن*. ج 2. ص 46.

(614) القرآن. الإسراء 17: 47.

(615) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 25، 26. ج 3. ص 385، 392.

(616) القرآن. آل عمران 3: 63.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾(617)،

فإذا كان هذا الحوار من قبيل دعوتهم للدين الحق الإسلام وإظهار ما هم عليه من الباطل؛ فهذا مقصد صحيح ومطلب شرعي أصيل في هذا الدين؛ أما لو كان يقصد بالحوار معهم إقرارهم على دينهم وموافقتهم على ما هم عليه، وترك دعوتهم للإسلام؛ فهذا خطأ كبير وخروج عن الطريق القويم؛ فلهذا يتوجب علينا توصيف هذه الدعوة توصيفاً دقيقاً ليكون الحكم عليها عادلاً فالحكم عن الشيء فرع عن تصوره.

المطلب الأول: في حقيقة الحوار بين الأديان وبيان أهميته

أولاً- تعريفه لغة: الحوار أصل هذه الكلمة يرجع إلى الحور وهو بمعنى الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وحاوره محاورة وحوارا جاوبه والمحاورة المجادلة، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴿٣٧﴾﴾(618)، وتحاوروا: تراجعوا الْكَلَام بَينهم وتجادلوا(619) وفي هذا المعنى جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴿١﴾﴾(620).

---

(617) القرآن. العنكبوت. 29: 46.

(618) القرآن. الكهف. 18: 36.

(619) ابن منظور. *لسان العرب*. جـ 4. ص 217. الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. 1426 هـ -2005 م. *القاموس المحيط*. ص 381.

(620) القرآن. المجادلة. 58: 1.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ثانياً- تعريفه اصطلاحاً: أما في الاصطلاح فيأتي بنفس المعنى اللغوي: حاورته راجعته الكلام وتحاورا وأحار الرجل الجواب بالألف رده وما أحاره ما رده. (621)

ثالثاً- أهمية الحوار: لا شك أن الحوار من أنجح الطرق في توصيل الفكرة والرأي للآخر، وبيان خطأ المخالف وإزالة الشبه العالقة في ذهنه، وما أكثر الحوارات التي قصها علينا القرآن الكريم، والأمثلة لذلك كثيرة، لعل أول حوار قصه علينا الله في كتابه العزيز ما جرى بين آدم عليه السلام وأبليس لعنه الله، وبين لنا إلحاح الشيطان وإغوائه لأبينا آدم حتى أقنعه بالأكل من الشجرة المنهي عنها والقصة وردة في عدة آيات من الكتاب العزيز منها قوله عز من قائل: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝﴾ (622)، وكذلك قص علينا القرآن قصة الذي حاج إبراهيم في ربه وكيف استطاع بإذن الله أن يحاججه ويتفوق عليه ويبين له فساد رأيه واعتقاده ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ (623)، وقص القرآن علينا أيضاً حواراً طويلاً جرى بين مؤمن وكافر، فقال تعالى: ﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ۝ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ

(621) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. بيروت: المكتبة العلمية. ج 1. ص 155.

(622) القرآن. الأعراف. 7: 19، 20.

(623) القرآن. البقرة 2: 257.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ (624)، ومما يدل على نجاعة الحوار وتأثيره في المحاور، ما روي في شأن الحرورية(625) عندما ناظرهم ابن عباس رضي الله عنهما، وأزال الشبه القائمة عندهم رجع منهم ألفان(626).

المطلب الثاني: محظورات الحوار

كما أن للحوار أهمية كبيرة؛ فإن له أيضاً محظوراً عظيماً، فالانحراف عن مساره أو فقدت شروطه، وتركت مقاصده وأهدافه الحسنة، فيرى بعض المفكرين والباحثين أن النصارى لم يرضوا بالحوار بل يطالبوا به؛ إلا انقاذاً لأنفسهم من المد الإسلامي الذي اجتاح عقر دارهم، فلم يجدوا طريقة لإيقاف هذا السيل القادم نحوهم سوى بدعوى الحوار من المسلمين، وأنهم ليسوا أنديتهم ندا لند -حاشا وكلا- وأنهم في موقف قوي، فهم بدعواهم هذه كمن يدس السم في العسل لأن الكنيسة تعلن من وراء هذا الحوار

---

(624) القرآن. الكهف. 18: 32، 40.

(625) وتسمى المحكمة وهي أولى فرق الخوارج، رئيسهم عبد الله بن وهب الراسبي، الذي قاد القتال ضد الإمام علي رضي الله عنه، ومن أبشع جرائمهم قتلهم عبد الله بن خباب ابن صاحب رسول الله ﷺ بعد أن حدثهم بحديث يوجب القعود عن الفتن، فذبحوه على حافة النهر وبقروا بطن امرأته وكانت حبلى. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. د ت. *الملل والنحل*. القاهرة: مؤسسة الحلبي. جـ 1. ص 118.

(626) النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله. 1411 - 1990. *المستدرك على الصحيحين*. (تحقيق): مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. جـ 2. ص 164.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الدعوى إلى التبشير بالمسيحية وإبرازها في صورة حسنة، ومن هنا تكمن خطورة هذا الحوار، لا سيما لو نظرنا في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾[627]، وغيرها من الآيات الكريمة الدالة على كيدهم للمسلمين.

ومما يؤكد هذه الشكوك تصريح بعض المؤسسات الكنسية بهذا فقد ورد في الدستور الرعوي الصادر عن المجمع الفاتيكاني الثاني: "تبدو الكنيسة رمز هذه الأخوة التي تنتج الحوار الصادق وتشجعه، وذلك بفعل رسالتها التي تهدف إلى إنارة المسكونة كلها بنور البشارة الإنجيلية"، وأيضاً أصدرت الكنيسة الكاثوليكية وثيقة بعنوان "حوار وبشارة" عام 1991م، جاء فيها: إن المسيحيين وهم يعتمدون الحوار بروح منفتح مع اتباع العقائد الدينية الأخرى؛ يستطيعون أن يحثوهم سلمياً على التفكير في محتوى معتقدهم.[628]

وجاء في رسالة للبابا يوحنا بولس الثاني في السابع من ديسمبر عام 1991م، بعنوان: "الحوار مع الأخوة والأخوات من ديانات أخرى" يقول: إن الحوار مع الديانات يشكل جزءاً من رسالة الكنيسة التبشيرية...تريد الكنيسة من خلال الحوار أن تكشف بنور الكلمة وأشعة الحقيقة التي تنير الناس أجمعين[629].

هذا بعض مما نقل عن الداعين للحوار من النصارى، وهو واضح في تبيين غرضهم من الحوار وسبب دخولهم فيه؛ مما يتوجب على المسلمين الحذر منه، ولعلي أختم بهذا النقل الصريح في أن الحوار معهم يعد شهادة لدينهم ومعتقداتهم، فقد جاء في كتاب توجيهات في الحوار الصادر عن مجلس الكنائس

---

(627) القرآن. البقرة 2: 119.

(628) السقار، منقذ بن محمود. د ت. *الحوار مع اتباع الأديان مشروعيته وآدابه*. د م. ص 73.

(629) أحمد بن عبد الرحمن القاضي. د ت. *دعوة التقريب بين الأديان*. د م. دار ابن الجوزي. ج 1. ص 782.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

العالمي: نحن لا نخال أن بين الحوار والشهادة تناقضاً، وما من شك أنه عندما يدخل المسيحي في الحوار، وهو ملتزم بيسوع المسيح، غالباً ما يكون الحوار مجالاً لشهادة حقيقية ، لذا يمكننا بكل صدق أن نحسب الحوار كإحدى الوسائل التي من خلالها تتم الشهادة ليسوع المسيح في أيامنا(630).

المطلب الثالث: أنواع الحوار

للحوار بين الأديان أنواع وأشكال؛ منها ما هو مقبول شرعاً بل نحن مأمورون به، ومنها ما هو محظور وممنوع لما فيه من التنازل عن ثوابت وأصول الدين، سيتعرض الباحث لها وبيان حكمها.

أولاً– حوار الدعوة: وهذا الحوار هو وسيلة الأنبياء والمرسلين في الدعوة إلى دين الله تعالى، وكما أن هذا الحوار مطلوب من الأنبياء فهو كذلك مطلوب من العلماء والدعاة، والأدلة على مشروعية هذا النوع من الحوار كثيرة في القرآن والسنة، فقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ والأنبياء من قبله فقال عز من قائل مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝﴾ (631)، وأمره سبحانه وتعالى بالتوجه لقومه بالدعوة للإسلام فقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۝﴾(632)، وحكم هذا النوع من الحوار بقصد الدعوة إلى دين الله واجب كفائي على عموم الأمة، ذكر هذا الحكم ابن تيمية: والدعاء إلي سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وغير ذلك مما أوجبه الله

(630) المرجع نفسه. ج 1. ص 782.

(631) القرآن. النحل 16: 125.

(632) القرآن. الشعراء. 26: 214.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

عليه المؤمنين، فهذا واجب علي الكفاية منهم.[633]

ثانياً– الحوار الاجتماعي أو الحوار لغرض التعايش السلمي والاتفاق على الحقوق والواجبات، فيما يتعلق بحقوق الراعي والرعية والشؤون الخارجية والداخلية، وهذا الحوار مبني على حرية الدين والمعتقد، وغالباً ما يكون الحوار على الأمور التي تضمن التعايش السلمي، وعدم التعدي على الآخر، ومن أمثلته ما جرى بين النبي ﷺ وكفار قريش في صلح الحديبية، والنبي ﷺ عندما قدم المدينة قام بكتابة دستور ينظم الحياة فيها وسكانها في ذلك الوقت المسلمون وأهل الكتاب، ومما يستدل به هنا قول النبي ﷺ في شأن حلف المطيبين الذي بقي العمل به في الإسلام على ما رجحه ابن حجر في الفتح[634] مستدلاً على ذلك برواية عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ قال: "شهدتُ حلْف المطيَّبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحبُّ أن لي حُمْرَ النَّعَم وأني أنكُثُه"[635]، وهذا النوع من الحوار جائز لفعل النبي[636] ﷺ، وهذا الحوار تتطلبه الضرورة الحياتية وهو حوار بعيد عن المعتقد وأصول الدين وإنما حوار لتنظيم الحياة مع الآخر تفرضه السياسة الشرعية[637].

---

(633) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. 1411هـ/1991م. *درء تعارض العقل والنقل*. (تحقيق): محمد رشاد سالم. المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الثانية. ج 1. ص 51.

(634) ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني. د ت. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. بيروت: دار المعرفة. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. ج 10. ص 502.

(635) ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. *مسند الامام أحمد بن حنبل*. ج 3. ص 193. حديث رقم 1655. وقال المحقق: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غيرَ عبد الرحمن بن إسحاق–وهو المدني– فقد أخرج حديثه مسلم في الشواهد، ووثقه ابن معين وأبو داود وغيرهما، وحكى الترمذي في "العلل": أن البخاري قد وثقه، وتكلم فيه بعضهم، وقال أحمد: لم ينكر من حديثه فصحيح. والترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة . 1409هـ. *علل الترمذي الكبير*. رتبه على كتب الجامع: أبو طالب القاضي (تحقيق): صبحي السامرائي، أبو المعاطي النوري، محمود خليل الصعيدي. بيروت: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية. ص 178.

(636) وذلك لشهوده حلف المطيبين وتأكيده لمشروعيته بعد البعثة. السقار. *الحوار مع اتباع الأديان مشروعيته وآدابه*. ص 33.

(637) السقار، منقذ بن محمود. *الحوار مع اتباع الأديان مشروعيته وآدابه*. ص 31، 33.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ثالثاً– الحوار لأجل التقارب الديني بين النصرانية والإسلام؛[638] يقوم هذا النوع من الحوار على إزالة الفروق والخلافات، وإذابة الفوارق الجوهرية بين الأديان المختلفة بعضها بعضاً، كما بين "التوحيد" في الإسلام "والتثليث" في النصرانية، إذاً فهذا الحوار يراد منه الوصول إلى القول بصحة جميع المعتقدات والديانات، وأنها ينبغي أن تكون جنباً إلى جنب، تتزامل في الإيمان، دون أن يتخلى كل دين عن عقائده وشرائعه الخاصة به[639].

والحقيقة أن اليهود والنصارى يحاولون بكل طريقة ممكنة لديهم الكيد للإسلام وإبراز دينهم وتبشيرهم للناس، وهذه الدعاوى للحوار التي يدّعونها؛ ما هي إلا ستار يخفون وراءه أطماعهم في التبشير للمسيحية، وهذه الدعوة قائمة وتتجدد من حين لآخر، وقد بدأت هذه الدعوة منذ عصر النبوة؛ فقد سرد القرآن علينا محاولات عديدة للتلبيس على المسلمين ومحاولة خداعهم، فقال عز من قائل: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

---

(638) جهرت اليهود، والنصارى، بالدعوة إلى التجمع الديني بين [illegible] وبين [illegible] بعبارة [illegible] التوحيد بين الموسوية، والعيسوية، والمحمدية " باسم: "الدعوة إلى التقريب بين الأديان"، "التقارب بين الأديان"، ثم باسم: "التعايش الديني"، ثم باسم : "الإحياء الديني" وله : فتح مركز بمصر بهذا الاسم، وباسم : "مجمع الأديان" وله فتح مركز بسيناء مقر [illegible] الإسلام، وباسم : "الصداقة الإسلامية المسيحية"، وباسم : "التضامن الإسلامي المسيحي ضد الشيوعية"، وجاءت هذه الدعوة [illegible] بعدة شعارات: "وحدة الأديان"، "توحيد الأديان"، "توحيد الأديان الثلاثة"، "الإبراهيمية"، "الملة الإبراهيمية"، "الوحدة الإبراهيمية"، "وحدة الدين الإلهي"، "المؤمنون"، "المؤمنون متحدون"، "الناس متحدون"، "الديانة العالمية"، "التعايش بين الأديان"، "الديانة العالمية وتوحيد الأديان". بكر بن عبد الله أبو زيد. 1417 هـ. *الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان*. د م. دار العاصمة. ص 22.

(639) المصدر السابق. ص 31، 33. وأبو زيد بن محمد مكي. الاحد 9 ربيع الأول 1424 الموافق 11 مايو 2003. الحوار بين الأديان حقيقته وأنواعه. موقع الإسلام اليوم. الرابط: http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-86-2224.htm#1 .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

﴿[640]، وقال: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَـٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿[641]

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿[642]، أنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآيات ليبين للمسلمين بطلان دعوة اليهود والنصارى فيحذروا من كيدهم، وقد فسر بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿[643] بأنه الخلط بين الإسلام واليهودية والنصرانية، نقل ابن جرير الطبري عن ابن جريج، ومجاهد تفسير الحق والباطل في هذه الآية الكريمة بأنه خلط اليهودية والنصرانية بالإسلام[644]، وروى ابن كثير عن قتادة في تفسير هذه الآية قوله: ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام؛ إن دين الله الإسلام، واليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله[645].

وبين نشاط وفتور هذه الحركة كانت في العصر الحديث، ومن أبرز من ينادي بها في هذا العصر؛ هي الحركة الماسونية بمختلف مؤسساتها وامتداداتها، يقول محمد رشاد فياض في كتابه النور الأعظم: "الميمات الثلاث في الموسوية والمسيحية والمحمدية، يجتمعون هكذا في ميم واحدة هي ميم

---

(640) القرآن. البقرة 2: 108.

(641) القرآن. البقرة 2: 110.

(642) القرآن. البقرة 2: 134.

(643) القرآن. البقرة 2: 41.

(644) الطبري محمد بن جرير. 2000 م. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ج 1. ص 568.

(645) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. 1999 م. *تفسير القرآن العظيم*. المحقق: سامي بن محمد سلامة. د م. دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية. ج 1. ص 245. وبكر بن عبد الله أبو زيد. 1417 هـ. *الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان*. ص 17.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الماسونية؛ لأن الماسونية عقيدة العقائد...وإن باءي البوذية والبرهمية يجتمعان في باء بناء هيكل المجتمع الإنساني[646].

ويرى محمد محمد حسين أن دعوة التقريب بين الدين الإسلامي والمسيحي في العصر الحديث بدأت بالاتفاق بين قسيس انجليزي[647] والشيخ محمد عبده أثناء فترة إبعاده للشام سنة 1883 م،[648] للتقريب بين الدين الإسلامي والمسيحي، ثم ظهرت الدعوة من جديد في السنوات الأخيرة حين قام جماعة من المعروفين بميولهم الصهيونية بعقد مؤتمر للتأليف بين الإسلام والنصرانية في بيروت 1953م، ثم في الإسكندرية 1954م، وقد كثرت الأقاويل في أهداف هذه الجماعة، وفي مصادر تمويلها، وأصدر الحاج أمين الحسيني بياناً أثبت فيه صلة القائمين على هذه الدعوة بالصهيونية العالمية[649].

حكم هذا النوع من الحوار بالمعنى الذي ذكر سابقاً يكون التقريب بين الأديان باطل مخالف لما جاءت به هذه الشريعة الغراء، وأن أي نوع من الحوار فيه هذا التلفيق بين الأديان وموافقتهم على عقائدهم المحرفة الباطلة، مرفوض شرعاً[650].

---

(646) السقار، منقذ بن محمود. *الحوار مع اتباع الأديان مشروعيته وآدابه*. ص 37. نقل السقار هذا النص عن القاضي في كتابه دعوة التقريب بين الأديان ج 1. ص 361. وهذا الكلام ورد في كتاب النور الأعظم نقله عن محمد محمد حسين. د ت. *الاسلام والحضارة الغربية*. دار الفرقان. ص 181.

(647) اسمه: إسحاق تيلور. محمد محمد حسين. د ت. *الاسلام والحضارة الغربية*. ص 181.

(648) نقل محمد محمد حسين كلام محمد عبده عن كيفية اقتناعه بهذه الفكرة ومراسلته للقس النصراني، وأن الذي أقنعه بالفكرة هو صديق له فارسي اسمه "مرزا باقر" وأن القس هو صاحب الفكرة والدعوة للتقريب بين الاسلام والمسيحية، وبعد اقتناع محمد عبده بالفكرة راسله مع بعض علماء دمشق، ففرح ذلك القس ونشر الرسالة بدون ذكر أسمائهم إلا أن السلطان عبد الحميد علم بهم فلحق بهم بسبب تلك الرسالة اضطهاد عظيم. محمد محمد حسين. 1984م. *الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر*. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط 7. ج 2. ص 319.

(649) محمد محمد حسين. د ت. *الاسلام والحضارة الغربية*. د م. دار الفرقان. ص 181.

(650) أحمد بن عبد الرحمن القاضي. *دعوة التقريب بين الأديان*. ج 2. ص 1457.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المطلب الرابع: الحوار بين الأديان عند الشيخ أبي مزيريق في تفسيره.

سئل المفسر عن قضية التقريب بين الإسلام والمسيحية؛ فقال: دعوى "المحبة والسلام" التي تدعيها المسيحية دعوة باطلة يكذبها الواقع، فلا محبة ولا سلام، وإنما حرب ودمار(651).

إذا نظرنا إلى هذا القول وأسقطناه على الواقع؛ نجده عين الحق، فلو نظرنا من حولنا لوجدنا كل المكائد والنكبات التي تصيب المسلمين، من الحروب والفتن واحتلال الأوطان وراءها اليهود والنصارى، والله سبحانه وتعالى حذرنا منهم وبين لنا نيتهم تجاهنا التي لا يعلمها إلا علام الغيوب، في كثير من آي القرآن الكريم منها قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طرائق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم(652).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾(653) قال: "هنا يعلمنا القرآن من هو على الحق ومن هو على الباطل، وهي قاعدة شرعية، وواقعة تاريخية، تعترف بها جميع المؤمنين، وقررها ذوو الإنصاف من المؤرخين...فقد بقي على ملة إبراهيم نفر قليل، تفرقوا هنا وهناك في بقاع الأرض، عندما حرف اليهود التوراة، وضيع النصارى الإنجيل، فأخذ أولئك يبحثون عن دين الحق دون مرشد أو دليل حتى جاء محمد

(651) علي رشدان. 22 سبتمبر 2012م. "حوار صريح مع الشيخ العلامة أحمد أبومزيريق". *تقاسيم*. http://tqaseem.blogspot.my/2012/09/blog-post_22.html.

(652) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. 1999 م. *تفسير القرآن العظيم*. ج 1. ص 382.

(653) القرآن. آل عمران 3: 67.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ﷺ بدين أظهر فيه سواء السبيل، وظهر به المؤمنون على العالم فكانوا أعظم قبيل وأطهر جيل؛ فمن هنا يظهر لنا جلياً أن اليهود والنصارى الآن بعد مضي أربعة عشر قرناً من الزمان لا زالوا متشبثين بخرافاتهم وخزعبلاتهم ولا زالوا قائمين على العداء السافر للمؤمنين المخلصين، فما نسمعه الآن من بعض السياسيين المحترفين أن التوفيق بين الأديان السماوية ممكن تحقيقه بين اليهود والنصارى وبين المسلمين، فهو كلام لا يرضى به عاقل ولم يأت به فيما مضى ناقل؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾(654)، وهو كما قال هنا مبيناً فيه الحق اليقين(655).

والذي يظهر أن قول المفسر جاء موافقاً لما جاء به الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكذلك موافق للواقع المرير الذي نعيشه ونشاهده؛ من وقوف اليهود والنصارى واتحادهم جميعاً في مناصبة قضايا المسلمين المختلفة، فلم يسجل لهم التاريخ أن اتفقوا لمصلحة المسلمين ولو مرة، ولا أظهر وأبين من وقوف النصارى اليوم مع العدو الصهيوني ضد العزل من المسلمين في فلسطين، والكلام على هذا يطول وهو ظاهر واضح لا يحتاج إلى دليل قال المتنبي:

وَلَيسَ يَصِحُّ في الأفهامِ شَيءٌ ... إِذا احتاجَ النَهارُ إِلى دَليلِ(656)

فموقف المفسر من هذه القضية؛ هو عدم جدوى هذا الحوار، ولا فائدة ترجى منه، لم يؤمن اليهود والنصارى المعاصرين للنبي ﷺ، والنبي ﷺ بين ظهرانيهم، والوحي ينزل عليه، وخير الخلق ومن أوتي جوامع الكلم، صاحب الخلق الرفيع، يدعوهم ويتقرب لهم، ومع ذلك ماذا حصل منهم!!! الكفر والنفاق والمكر والخديعة وخيانة العهود والمواثيق، والتآمر مع العدو، النبي ﷺ لم يده بالخير

(654) القرآن. البقرة 2: 119.

(655) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 2. ص 185، 186.

(656) عبد الرحمن البرقوقي. 1986م. *شرح ديوان المتنبي*. بيروت: دار الكتاب العربي. ج 3. ص 215 .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

والحق والعدل وهم قابلوا الخير بالشر والإحسان بالإساءة، ولو ظن أحد منا اليوم أنهم سيتبعون ملتنا ويدخلون في ديننا؛ بدعوى تقريب أو توحيد أو مؤتمر وندوة تعقد هنا وهناك، ولجان تجول بين العواصم والدول؛ فهو واهم ونقول له إن شئت اقرأ آيات القرآن في شأنهم، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾[657]، لأنهم متعصبون لما عليه أسلافهم لم يلينوا ولم يحيدوا، مكابرون يعلمون أنه حق من عند الله وعلمهم هذا لم ينفعهم لأنهم اتبعوا أسلافهم، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾[658].

قال محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ ولقد كان من الصعب – لولا إعلام الله تعالى – أن تعرف وجه فتك التقليد بعقول أهل الكتاب وإفساد الأهواء لقلوبهم، لذلك سلى الله – تعالى – نبيه عما كان يجده من عنادهم وإيذائهم بآيات كثيرة عرفه فيها حقيقة حالهم، منها هذه الآية الناطقة بأن كلا من اليهود والنصارى على اتعادهم في أصل الدين قد تعصب لتقاليده، واتخذ الدين جنسية لا يرضيه من أحد شيء إلا أن يدخل فيها وقبول لقبها، فقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴿١٢٠﴾﴾ مراد به ما هم عليه من التقليد والأهواء التي غيروا بها وجه الدين الواحد حتى صار بعضهم يحكم بكفر بعض كما تقدم في الآيات السابقة[659].

---

(657) القرآن. البقرة 2: 144.

(658) القرآن. القصص. 28: 50.

(659) محمد رشيد بن علي رضا. 1990 م. *تفسير المنار*. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج 1. ص 365، 366.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ولأن إنكارهم وكفرهم بالإسلام نابع عن تعصب وحسد، لا عن جهل وعدم علم، فلو كانوا جاهلين لربما ينفعهم الحوار والتفاهم ولكنهم مكابرين جاحدين قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ (660). قال ابن كثير: يخبر تعالى أنّ علماء أهل الكتاب يعرفون صِحّة ما جاءهم به الرسول ﷺ كما يعرفون أبناءهم، كما يعرف أحدُهم ولده، والعربُ كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا(661).

في نهاية هذا المبحث يتبين بوضوح موقف المفسر من هذه القضية، فهي دعوى باطلة يكذبها الواقع، مخالفة لهدي القرآن الكريم، فكل من صدق وآمن بهذا الكتاب عليه التصديق بكل ما فيه، والحذر مما حذر منه فقد بين القرآن مكائدهم وخداعهم.

المبحث الرابع: نزول عيسى عليه السلام

نزول عيسى عليه السلام لم يكن فيه خلاف كبير قديماً سوى من بعض المعتزلة والجهمية، وتقرر في كتب أهل السنة بأنه من أشراط الساعة وعلاماتها من علاماتها، ولكن هذا الاتفاق إلى عصرنا هذا، ثم بدأ يظهر تشكيك في نزوله عليه السلام، ولعل أول من نادى بها الشيخ محمد عبده ومن تأثر بفكره، فهو مؤسس المدرسة العقلية الحديثة، وكذلك أنكر نزول المسيح الطائفة القاديانية، وتبعهم الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، لتأليف كتاب للرد عليهم سماه: "التصريح بما تواتر من نزول المسيح"، رتبه تلميذه الشيخ محمد شفيع مفتي باكستان، وممن تأثر بهذا القول –إنكار نزول عيسى– الشيخ أبو زيد، وسيأتي بيان قوله.

---

(660) القرآن. البقرة 2: 145.

(661) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. 1999 م. *تفسير القرآن العظيم*. جـ 1. ص 462.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المطلب الأول: موقف العلماء من نزول عيسى عليه السلام

للعلماء في هذه المسألة قولان:

القول الأول: مذهب أهل السنة، ولم يخالف في ذلك إلا بعض المعتزلة والجهمية، نقل النووي رحمه الله عن القاضي عياض رحمه الله: عند شرحه لقوله ﷺ: "فيبعث الله عيسى بن مريم" أي ينزله من السماء حاكما بشرعنا، قال القاضي رحمه الله تعالى: نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم(662).

نقل ابن عطية عن القاضي أبي محمد الإجماع على نزول عيسى عليه السلام فقال: قال القاضي أبو محمد: وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى عليه السلام في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض العدل ويظهر هذه الملة، ملة محمد ﷺ ويحج البيت ويعتمر، ويبقى في الأرض أربعا وعشرين سنة، قيل أربعين سنة، ثم يميته الله تعالى(663).

وقد ذكر الطحاوي رحمه الله النزول عيسى بن مريم من أشراط الساعة، ذكر هذا في العقيدة الطحاوية، وصرح في مقدمة كتابه أنها عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن

---

(662) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف. 1392. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. بيروت: دار إحياء التراث العربي. الطبعة الثانية. جـ 18. ص 75.

(663) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي. 1422 هـ. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. (تحقيق): عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. جـ 1. ص 444.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الشيباني، رضوان الله عليهم أجمعين وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين[664].

وكذلك ورد عن الامام أحمد بن حنبل في رده على استفسار مسدد بن مسرهد[665] جاء فيها: والدَّجال خارج في هذه الأمة لا محالة، وينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض فَيقتله بباب لُد[666].

وذكر الأشعري في تقريره لعقيدة أهل السنة والجماعة: ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى بن مريم يقتله[667].

وذكر ابن حجر تواتر نزول عيسى عليه السلام عن أبي الحسن الآبري، وعزاه له في مناقب الشافعي[668].

وفي عون المعبود صرح العظيم آبادي بأن نزول عيسى آخر الزمان مذهب أهل السنة فقال: تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في نزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء بجسده العنصري إلى الأرض عند

---

(664) ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علاء الدين علي بن محمد. 1426هـ -2005م. *شرح العقيدة الطحاوية*. (تحقيق): جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني. دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة. ص 7، و501.

(665) هو مسدد بن مسرهد بن مسربل الاسدي البصري، كنيته أبو الحسن، توفي سنة 228هـ، هو أول من صنف (المسند) بالبصرة، كان محدثاً حافظا حجة من الائمة المصنفين الاثبات. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد. 2002 م. *الأعلام*. د م. دار العلم للملايين. الطبعة: الخامسة عشر 2002 م. جـ 7. ص 15.

(666) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. 1409 هـ. *مناقب الإمام أحمد*. المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. دار هجر. الطبعة: الثانية. ص 228. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. 1379هـ. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. بيروت: دار المعرفة. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. إخرجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. عليه تعليقات: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. جـ 6. ص 493. وقد وقع تصحيف في اسم أبي الحسين الآبري فقد ذكره في الفتح "وقال أبو الحسن الخسعي الأبدي في مناقب الشافعي تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه" نبه عليه في التصريح بما تواتر من نزول المسيح ص 61.

(667) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق. 1426هـ -2005م. *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*. المحقق: نعيم زرزور. بيروت: المكتبة العصرية. جـ 1. ص 228.

(668) الآبري، أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم. 1430 هـ -2009 م. *مناقب الإمام الشافعي*. المحقق: د جمال عزون. الدار الأثرية. ص 95.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

قرب الساعة وهذا هو مذهب أهل السنة[669].

يتبين مما سبق ذكره أن مسألة نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان مجمع عليها عند أهل السنة بجميع مذاهبهم العقدية، ويجعلونها من أشراط الساعة الكبرى في كتب العقائد، والحديث.

القول الثاني: إنكار نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وهو لبعض العلماء المعاصرين

إن قضية نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان قضية مجمع عليها قديماً، وتواترت الأحاديث الدالة عليها، لكن في هذا العصر حصلت مخالفة من بعض العلماء، وهم أتباع المدرسة العقلية الحديثة، التي أسسها الشيخ محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، ممن تتلمذ عليهم، أو جاء بعدهم وتأثر بفكرهم، يذكر الباحث بعض أقوالهم:

رأي محمد عبده: كما نقله عنه محمد رشيد رضا في تفسير المنار، فقد نقل عنه أن في هذه المسألة قولين وبدأ بقول الجمهور وأبطله، ويرى أن عيسى توفي في الأرض عملاً بظاهر الآية الكريمة متوفيك ورافعك إلي، وقال: إن الواو لتفيد الترتيب ولا يجوز العدول عن الترتيب في الكلام البليغ إلا لسبب ولا سبب يوجبه هنا، وعليه فإن الآية تفيد وفاته ثم رفعه، وأما الدليل الآخر فإن الآية على ظاهرها وأن عيسى توفي ورفع الله روحه، وأن مسألة نزول آخر الزمان فيها تأويلان، الأول أن النزول ثابت بحديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي لأنه من أمور الغيب، وأمور الاعتقادية لا يثبت بها إلا بالقطعي؛ لأن المطلوب فيها هو اليقين، وليس في الباب حديث متواتر، والتأويل الثاني: تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس، وهو ما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ

---

(669) العظيم آبادي، أبو عبد الرحمن محمد أشرف. 1415 هـ. *عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته*. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة: الثانية. جـ 11. ص 307.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها، وهو حكمتها وما شرعت لأجله.. فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذي يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الإسلامية لإصلاح السرائر من غير تقيد بالرسوم والظواهر(670).

هذا ملخص ما نقله عن محمد عبده، ثم عقب ذلك بقوله: "هذا ما قاله الأستاذ الإمام في الدرس مع بسط وإيضاح، وسئل عن المسيح الدجال وقتل عيسى له فقال: إن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها، والأخذ بأسرارها وحكمها، وإن القرآن أعظم هاد إلى هذه الحكم والأسرار، وسنة الرسول ﷺ مبينة لذلك فلا حاجة للبشر إلى إصلاح وراء الرجوع إلى ذلك"(671).

يتبين لنا أن محمد عبده بعد نقله وتفصيله للمسألة يتبنى القول الثاني؛ الذي يقتضي عدم نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وأن نزول عيسى عليه السلام ما هو إلا رمز للإصلاح؛ كما أن الدجال رمز للفساد.

رأي أحمد بن مصطفى المراغي (ت 1371هـ): ذهب المراغي في تفسيره لقوله تعالى: إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرافِعُكَ إِلَيَّ ... إلى موافقة شيخه محمد عبده فقال في تفسيرها: وفي هذا بشارة بنجاته من مكرهم واستيفاء أجله، وأنهم لا يقدرون على قتله كما يريدون بمكرهم وخبثهم، ثم بين أن للعلماء فيها قولان، يقتضي القول الأول بأن الواو في الآية الكريمة ليست على الترتيب؛ فيكون تفسيرها أني رافعك الآن ومميتك بعد نزولك من السماء، وبناء على هذا فقد رفع حيا بجسمه وروحه، وأنه سينزل آخر الزمان، فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله، والرأي الثاني أن الآية على ظاهرها وأن الرفع للروح

(670) محمد رشيد بن علي رضا. 1990 م. *تفسير المنار*. ج 3. ص 261.

(671) المصدر نفسه. ج 3. ص 261.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

لا الجسد والروح معاً، ولا غرابة في خطاب الشخص وإرادة روحه، فالروح هي حقيقة الإنسان، ثم قال بعد بيانه للمذاهب في هذه المسألة؛ وحديث الرفع والنزول آخر الزمان من الاحاديث الآحاد وهو يتعلق بأمر اعتقادي، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالدليل القاطع من قرآن أو حديث متواتر، ولا يوجد هنا واحد منهما، أو أن المراد بنزوله وحكمه في الأرض غلبة روحه، وسر رسالته على الناس بالأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها، والتمسك بقشورها دون لبابها(672).

وهذا رأي الشيخ المراغي صريح في إنكار نزول عيسى عليه السلام، وهو في هذا الرأي موافق لما عليه الشيخ محمد عبده.

رأي محمد رشيد رضا: لا يختلف قول محمد رشيد عن قول شيخه الذي نقله عنه في التفسير، وقد سئل الشيخ رشيد رضا عن هذه المسألة وأجاب عنها في مجلة المنار(673)، بأنه لا دليل من القرآن أو السنة على نزول عيسى آخر الزمان، ويرى أن آية آل عمران على ظاهرها، ويستدل على وفاة عيسى برواية من تفسير ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وتمسك بهذه الرواية مع أن ابن كثير نقل أقوال أخرى في هذه المسألة، ورجح أن التوفي معناه هنا النوم، وذكر أدلة أخرى من الكتاب والسنة على نزول عيسى، ولكن الشيخ تمسك برواية ابن عباس مع أن ابن كثير نفسه أعرض عنها، وأثبت الرفع والنزول لعيسى عليه السلام(674).

وتمسك محمد رشيد بهذه الرواية مع أنها مختلف فيها بين أهل العلم، وقال عن أحاديث النزول بأنها آحاد، فقد ترك أحاديث صحاح عن النبي ﷺ وتمسك بأثر عن ابن عباس، والذي يظهر للباحث

(672) المراغي، أحمد بن مصطفى. 1946 م. *تفسير المراغي*. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. جـ 3. ص 168، 169.

(673) رضا، محمد رشيد. 1346هـ- 1928 م. "أسئلة من تونس" *مجلة المنار*. العدد 28 رجب-يناير. ص 747

(674) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. 1999 م. *تفسير القرآن العظيم*. جـ 2. ص 47.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

من هذا أن محمد رشيد تمسك بهذه الرواية لموافقتها لمذهبه ورأيه، وإلا فإن رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس منقطعة[675]، وفيها كلام بين أهل العلم؛ وعلى فرض صحتها وثبوتها كيف تعارض بالأحاديث الكثيرة الواردة في رفع عيسى ونزوله آخر الزمان، وابن كثير نفسه لم يعول عليها في هذه المسألة، وإنما ذكرها في جملة أقوال ومروية ورجح غيرها وتركها.

ومحمد رشيد يفرق في استدلاله بين القرآن والسنة فيقول: وجملة القول إنه ليس في القرآن نص صريح في أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حيًّا حياة دنيوية بهما بحيث يحتاج بحسب سنن الله

---

(675) قال الحافظ علي بن أبي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس، وقال الخليلي تفسير معاوية بن صالح قاضي الأندلس، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رواه الكبار عن ابن أبي صالح كاتب الليث، عن معاوية، وأجمع الحفاظ على أن ابن أبي طلحة لم يسمعه من ابن عباس، وقال ابن التركماني ابن أبي طلحة ما روى له الشيخان فقد قال معاوية بن صالح هو ضعيف منكر ليس بمحمود المذهب... وسئل أحمد بن صالح عمن سمع التفسير فقال لم يسمع من لا أحد. ابن التركماني، أبو الحسن علاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني. د ط. *الجوهر النقي على سنن البيهقي*. بيروت: دار الفكر. جـ 1. ص 310. ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي. 1425هـ-2004م. *البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير*. (تحقيق) مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال. الرياض-السعودية: دار الهجرة للنشر والتوزيع. جـ 9. ص 119. أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني. 1409 هـ. *الإرشاد في معرفة علماء الحديث*. (تحقيق) د. محمد سعيد عمر إدريس. الرياض: مكتبة الرشد. جـ 1. ص 393. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. 1422هـ - 2002 م. *تاريخ بغداد*. (تحقيق): بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي. جـ 13. ص 380.

الطّريفي، عبد العزيز بن مرزوق. 1422 هـ - 2001 م. التحقيق في تخريج ما لا يصح من الأحاديث والآثار في إرواء الغليل. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع. ص 231. ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، قاله ابن معين ودُحيم وابن حبان وغيرهم، وحديثه عن ابن عباس من كتاب لم يسمعه، وقد أخذه من نسخة الضحاك عن ابن عباس، رواه سعيد بن جبر وغيره، رواه عبد الله بن صالح كاتب الليث عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الألباني، محمد ناصر الدين. 1422 هـ-2002 م. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. مجلد 11. ص 5. "الانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس؛ فإنه لم يسمع منه، ولم يره؛ كما قال الحافظ وغيره من المتقدمين والمتأخرين".

وقد قبل حديثه بعض أهل العلم، قال الطحاوي: إن علي بن أبي طلحة، وإن كان لم يكن رأى عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- فإنما أخذ ذلك عن مجاهد وعكرمة، مولى ابن عباس -رضي الله عنهما-، الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة. 1414 هـ، 1994 م. *شرح معاني الآثار*. (تحقيق) محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق. د م. عالم الكتب. جـ 3. ص 270.

قال السقاف: علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، لكن الواسطة بينهما مجاهد؛ كما قال الحافظ ابن حجر، وهو ثقة. السّقّاف، علوي بن عبد القادر. 1416 هـ - 1995 م. *تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن*. د م. دار الهجرة للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية. ص 111. ذكر الباحث كل هذه الأقوال ليبين أن رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس منقطعة، وفي الأخذ بها خلاف بين أهل العلم.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

تعالى إلى غذاء فيتوجه سؤال السائل عن غذائه، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء، وإنما هذه عقيدة أكثر النصارى، وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهر الإسلام إلى الآن بثها في المسلمين.

ويعود في موضع آخر بصحة بعض الأحاديث في هذه المسألة؛ ويوقف العمل بها؛ لأنها متعارضة فقال في تفسيره: وأما أحاديث نزول عيسى فبعض أسانيدها صحيحة، وهي على تعارضها واردة في أمر غيبي متعلق بأحاديث الدجال المتعارضة مثلها كما تقدم بيانه أيضا في ذلك البحث(676) فينبغي أن يفوض أمرها إلى الله تعالى، وألا تكون سببا للتقصير في إقامة الدين والدنيا بما شرعه الله تعالى فيهما(677).

رأي محمود شلتوت: ورأيه كان إجابة لسؤال ورد على مشيخة الأزهر، فكانت إجابته موافقة لمن سبقه بإنكار نزول عيسى وفي إجابته تعرض للآيات الواردة في هذه المسألة وفسرها كما فسرها المنكرون لنزول عيسى، أما الأحاديث فقد أقر بها ولكنها -حسب رأيه- إما مضطربة أو آحاد، وقال:

---

(676) تعرض لأشراط الساعة بشيء من التفصيل، وجملة ما خرج به؛ عدم وقوع بعض أشراطها كالدجال وابن مريم ونزوله، مستدلاً بعد أمور منها منافاتها لما أخبر الله به من أن الساعة تأتي بغتة، واضطراب الروايات عن النبيﷺ. محمد رشيد بن علي رضا. 1990 م. *تفسير المنار*. جـ 9. ص 403 وما بعدها.

(677) محمد رشيد بن علي رضا. 1990 م. *تفسير المنار*. جـ 10. ص 342. الكاتب: محمد رشيد رضا. مجلة المنار. رجب. 1346هـ. جـ 28. ص 747.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

قد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد في شأن المغيبات[678].

وفي نهاية بحثه في هذه القضية قال: وبعد فما عيسى إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، ناصبه قومه العداء، وظهرت على وجوههم بوادر الشر بالنسبة إليه، فالتجأ إلى الله شان الأنبياء والمرسلين فأنقذه الله بعزته وحكمته وخيب مكر أعدائه.

ثم خرج بخلاصة وهي:

أنه ليس في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء وأنه حي إلى الآن فيها، وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض، ويرى أن كل ما تفيد الآيات الواردة في هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنه متوفيه أجله ورافعه إليه وعاصمه من الذين كفروا، وأن هذا الوعد قد تحقق فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه، ولكن وفاه الله أجله ورفعه إليه.[679]

---

(678) يرد الاعتراض على هذه الجملة من وجهين: الوجه الأول أن دعوى الإجماع غير صحيحة، لوجود خلاف معتبر في هذه المسألة فقد نقل ابن القيم عن كثير من العلماء القول بحجيته في الاعتقاد: ... نص عليه على أن خبر الواحد يفيد العلم مالك والشافعي وأصحاب أبي حنيفة وداود بن علي وأصحابه وأبي محمد بن حزم ونص عليه الحسين بن علي الكرابيسي والحارث بن أسد المحاسبي، وقال أبو إسحاق الشيرازي: خبر الواحد الذي تلقته الأمة بالقبول يقطع به سواء عمل الكل به أو عمل البعض وتأوله البعض، فهذه الأخبار توجب العمل ويقع العلم بها من طريق الدلالة ... من وجهين من وجهاً من الشريعة تدل على أن خبر الواحد يوجب العمل، فهذه النقول تفيد بطلان دعوى الإجماع التي ادعاها الشيخ محمد ... رحمه الله. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. 1422هـ -2001م. *مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة* ... ابن الموصلي، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي. المحقق: سيد إبراهيم. القاهرة: دار الحديث. ص 553. ... أبو إسحاق إبراهيم بن علي. 1405هـ، 1985م. اللمع في أصول الفقه. بيروت: دار الكتب ... ية. ص: 39

.الوجه الثاني: أنهم اشترطوا للعمل به وجود قرينة، والقرينة هنا موجود وهي الآيات القرآنية الدالة على ... آخر الزمان على رأي أكثر المفسرين في تأويلها. قال ابن حجر في حديثه عن الحديث الآحاد ، وقد تفيد العلم أعني النظري ... ... قرائن للخبر، وقال ابن تيمية: ولهذا كان الصحيح أن خبر الواحد قد يفيد العلم إذا احتفت به قرائن تفيد العلم. ابن حجر العسقلاني، 2006م. *نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر*. (تحقيق) عبد الحميد ابن صالح. بيروت: دار ابن حزم. ص 166. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم

الحراني أبو العباس. 1426 هـ / 2005 م. مجموع الفتاوى. المحقق: أنور الباز، وعامر الجزار. دار الوفاء. الطبعة: الثالثة. جـ 18. ص 40.

(679) شلتوت، محمود شلتوت. 1942/5/11م. "رفع عيسى" مجلة الرسالة. العدد: 462 مايو.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المطلب الثاني: الأدلة على نزول عيسى عليه السلام

ورد في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان آيات من كتاب الله تعالى، وعدد كبير من الأحاديث النبوية، أولاً الآيات الواردة في نزول عيسى عليه السلام[680]:

قال الله عز وجل: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝﴾ [681]، ذكر ابن جرير أن من معاني قوله تعالى وكهلا أن عيسى عليه السلام سيكلم الناس بعد نزوله في آخر الزمان فقال: وقال آخرون: معنى قوله: ﴿وَكَهْلًا﴾، أنه سيكلمهم إذا ظهر، وساق في ذلك أثراً عن ابن زيد قال: حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سمعته -يعني ابن زيد- يقول في قوله: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾، قال: قد كلمهم عيسى في المهد، وسيكلمهم إذا قتل الدجال، وهو يومئذ كهلٌ. [682]

وذكر الواحدي في تفسير قوله: ﴿وَكَهْلًا﴾ تأويلين أحدهما أنه يكلم الناس بعد نزوله من السماء[683].

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾[684]، ذكرها ابن جرير كما سبق وفسرها، فيرى أنها تدل على

---

(680) أشارت إلى نزول عيسى في آخر الزمان أربع آيات من كتاب الله تعالى.

(681) القرآن. آل عمران 3: 46.

(682) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد. 1420 هـ -2000 م. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. جـ 6. ص 420.

(683) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري. 1415 هـ. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. (تحقيق): صفوان عدنان داوودي. دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية. ص 211.

(684) القرآن. المائدة 5: 112.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

نزول عيسى آخر الزمان، وذكر ابن عطية أن من فوائد قوله تعالى: ﴿وَكَهْلاً﴾ أنه ينزل آخر الزمان، نقل هذا القول عن ابن زيد. (685)

قال الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ، قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾(686)، ذهب جمهور المفسرين إلى أن الضمير في ﴿مَوْتِهِ﴾ يرجع لعيسى عليه السلام، نقل ابن جرير في تفسيره أقوالاً عن السلف في بيان المراد منها، ثم قال: وأولى الأقوال بالصحة والصواب، قول من قال: تأويل ذلك: "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى" ثم صرح بأن هذا حاصل عند نزول عيسى عليه السلام، فقال: وأن ذلك في خاصٍ من أهل الكتاب، ومعنيٌّ به أهل زمان منهم دون أهل كل الأزمنة التي كانت بعد عيسى، وأن ذلك كائن عند نزوله(687).

وقال ابن عطية: اختلف المتأولون في معنى الآية فقال ابن عباس وأبو مالك والحسن بن أبي الحسن وغيرهم الضمير في ﴿بِهِ﴾ راجع إلى عيسى، والمعنى أنه لا يبقى من أهل الكتاب أحد إذا نزل عيسى إلى الأرض إلا يؤمن بعيسى، كما يؤمن سائر الأمم، وترجع الأديان كلها واحداً، وذكر ان مرجع الضمير لعيسى هو رأي جُل المفسرين، ويرى عكرمة أن الضمير يرجعه للنبي محمد ﷺ.(688)

---

(685) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد. 1420 هـ -2000 م. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ج 11. ص 215. وابن عطية. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي. 1422 هـ. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. ج 1. ص 437.

(686) القرآن. النساء 4. 158.

(687) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد. 1420 هـ -2000 م. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ج 9. ص 386، 388.

(688) ابن عطية. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي. 1422 هـ. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. ج 2. ص 134.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝﴾(689)، يرى جمهور المفسرين أن الضمير في ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ راجع لعيسى عليه السلام، قال البغوي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِنَّهُ﴾ يعني عيسى عليه السلام، ﴿لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ يعني نزوله من أشراط الساعة يعلم به قربها، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة: "وإنه لَعَلَم للساعة" بفتح اللام والعين أي أمارة وعلامة(690).

وعند ابن كثير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ تقدم تفسير ابن إسحاق: أن المراد من ذلك: ما بُعث به عيسى عليه السلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وغير ذلك من الأسقام، وفي هذا نظر، وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبير: أي الضمير في ﴿وَإِنَّهُۥ﴾، عائد على القرآن، بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه السلام، فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ أي: قبل موت عيسى، عليه السلام، ثم قال: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝﴾، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: "وإنه لَعَلَم للساعة" أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة، قال مجاهد: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة. وهكذا روي

(689) القرآن. الزخرف. 43: 61.

(690) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. 1417 هـ -1997 م. *معالم التنزيل*. حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وآخرون. دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الرابعة. جـ 7. ص 219.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

عن أبي هريرة ﷺ، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن وقتادة، والضحاك، وغيرهم.(691)

وقال الشنقيطي: "التحقيق أن الضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ راجع إلى عيسى لا إلى القرآن، ولا إلى النبي محمد ﷺ.

ثم قال في معنى قوله: ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم والسنة المتواترة هو نزول عيسى في آخر الزمان، حيا علم للساعة أي علامة لقرب مجيئها لأنه من أشراطها الدالة على قربها.(692)

المطلب الثالث: الأدلة من السنة على نزول عيسى عليه السلام

وردت أحاديث كثيرة في نزول عيسى عليه السلام، والأحاديث عن رسول الله ﷺ في هذا الباب بلغت مبلغ التواتر؛ كما صرح بذلك بعض أهل العلم، قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه ينزل عيسى ابن مريم ﷺ قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا.(693)

وجاء أيضاً في التفسير الوسيط: وقد تواترت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إمامًا عادلًا وحكمًا مقسطًا؛ فقد أخرج البخاري ومسلم والترمذي

(691) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. 1999 م. *تفسير القرآن العظيم*. جـ 7. ص 236.

(692) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني. 1415هـ -1995م. *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. (المحقق): مكتب البحوث والدراسات. جـ 7. ص 128.

(693) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. 1999 م. *تفسير القرآن العظيم*. جـ 7. ص 236.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وأبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "لينزلن ابن مريم حكمًا عدلًا، فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير ... " إلخ[694].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، جمع منها الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي الحنفي[695] (ت 1351هـ) -رحمه الله- أكثر من مائة حديث بين مرفوع وموقوف، في الصحيحين، وباقي كتب الحديث من المسانيد والسنن، ونظراً لكثرة الأحاديث في هذا الموضوع يكتفي الباحث ببعض منها[696].

روى البخاري [illegible] بن المسيب، سمع أبا هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، [illegible] فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ [illegible] حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» ثم

(694) د. م. 1993 م. التفسير الوسيط للقرآن الكريم. [illegible] بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية. جـ 9. ص 824.

(695) ألف كتاب حياة المسيح بما تواتر في نزول المسيح، رتبه تلميذه [illegible] حققه وراجع نصوصه وعلق عليه عبد الفتاح أبو غدة، وكان السبب الداعي لتأليفه الرد على [illegible] والقاديانية"، التي أسسها المرزا غلام أحمد القادياني، وهي تنسب إلى مدينة قاديان بالهند، ويطلق عليه [illegible] الأحمدية، لانتسابهم في مذهبهم إلى غلام أحمد المولود بمدينة قاديان بالهند سنة 1835م، الذي ادعى أنه المسيح الموعود والمهدي المعهود، وأنه نبي يوحى إليه، وهذه الحركة نشأت سنة 1900م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة [illegible] بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الإنجليزية، [illegible] الدعوة قد راجت في أواخر القرن التاسع الميلادي في القارة الهندية، ما دفع العلماء للتصدي لها، والقيام بواجب الرد عليها، و[illegible] ما جاءت به من دعاوى منفّقة باطلة، ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي الحنفي، وأبي الحسن الندوي وأبي علي المودودي، ومحمد الخضر حسين. د. م. 1420 هـ. *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة*. إشراف ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة: الرابعة. جـ 1. ص 416.

(696) اقتصر الباحث على عدد قليل من الأحاديث، واختار ما خرجه الشيخان، أو أحدهما، أو ما هو في كتب الحديث المشهورة؛ تجنباً للإطالة، وإلا فالأحاديث كثيرة كما أسلف الباحث، فكتاب التصريح بما تواتر في نزول المسيح يحوي ما يزيد على مائة حديث.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

يقول أبو هريرة: " واقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ، قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴿١٥٩﴾﴾.(697)

وروى البخاري عن نافع، مولى أبي قتادة الأنصاري، أن أبا هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»، تَابَعَهُ عُقَيْلٌ، وَالأَوْزَاعِيُّ.(698)

وروى مسلم عن أبي هريرة، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَاللهِ، لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ»(699).

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله ﷺقال سمعت النبي ﷺ يقول: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى [illegible] إِلَى يَوْمِ [illegible] قَالَ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(697) البخاري، محمد بن اسماعيل. صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام. ج 4. ص 168. حديث رقم (3448). ومسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ. حديث رقم (242- 155). ج 1. ص 135. وأبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. (1392 هـ-1975 م). سنن الترمذي. ج 4. ص 506. حديث رقم (2233). وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. مسند أحمد بن حنبل. ج 16. ص 551. حديث رقم 10945.

(698) البخاري، محمد بن اسماعيل. صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام. ج 4. ص 168. حديث رقم (3449). ومسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ. حديث رقم (155-244). ج 1. ص 135. وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. مسند أحمد بن حنبل. ج 8. ص 312. حديث رقم 8410.

(699) مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ. حديث رقم (243-155). ج 1. ص 135. وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. مسند أحمد بن حنبل. ج 16. ص 254. حديث رقم 10402.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وسَلَّمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»(700).

روى الإمام مالك من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺقال:" أُرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الكَعْبَةِ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ قَدْ رَجَّلَهَا، فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً، مُتَّكِئًا عَلَى رَجُلَيْنِ، أَوْ عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَإِذَا رَجُلٌ جَعْدٌ قَطَطٌ، أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: المَسِيحُ الدَّجَّالُ(701)

المطلب الرابع: موقف [illegible] من نزول عيسى عليه السلام

سلك أبو مزيريق في [illegible] مسلكاً مخالفاً لما عليه جمهور العلماء، من أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر [illegible] ويستدل بها الجمهور على نزول عيسى بتفسيرات بعيدة عما قرره جمهور أهل [illegible]

قوله تعالى: ﴿وَكَهْلًا﴾ يرى [illegible] هذه الكلمة: تكليم عيسى لقومه في المهد صبيا إظهاراً للمعجزة وتكليمه لهم كهلاً إظهاراً للرسا[illegible]

---

(700) مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ. حديث رقم (247-156). ج 1. ص 137. ابن حنبل، أحمد بن محمد. مسند الامام أحمد بن حنبل. ج 23. ص 335. حديث رقم 15128. والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. 1423هـ-2003م. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير. (تحقيق): يوسف النبهاني. بيروت: دار الفكر. ج 3. ص 307. حديث رقم (13429).

(701) مالك بن أنس. 1985 م. الموطأ. كتاب صفة النبي ﷺ. باب ما جاء في صفة عيسى ابن مريم عليه السلام، والدجال. ج 2. ص 920. حديث رقم 2.

(702) أبو مزيريق. [illegible] لبعض التوجيهات القرآن. ج 2. ص 150.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ قال: اضطرب المفسرون في تفسير هذه الآية عندما اختلفوا في معناها، فبعضهم يقول ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى عندما تظهر له حقيقته بأنه رسول الله حال النصارى، ولكن هذا الإيمان لا ينفعه لأنه جاء في غير أوانه، وبعضهم يقول: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى بعد ما ينزل إلى الأرض آخر الزمان، فيؤمن به اليهود والنصارى، استدل [illegible] بنزول عيسى آخر الزمان، قال: وهذا القول مردود؛ لأن الآية تعمم، وما يقع عند [illegible] خصص من عمومه من أهل الكتاب[703].

وأما قوله [illegible] فيرى أن الضمير يرجع للقرآن قال: وإنه لعلم للساعة مراد به القرآن، و[illegible] متصلاً من أول السورة.. وأن القرآن أَعْلَمَ الناس بوقوع الساعة، وأن هذا الإسناد [illegible] العلم بقيام الساعة، إذ فيه الدلائل المتنوعة على إمكان البعث ووقوعه.[704]

وبعد هذا العرض لرأي المفسر في [illegible] نزول عيسى [illegible] نرى أنه يتأولها ويفسرها على طريقة منكري نزول عيسى [illegible] من اتباع المدرسة العقلية فهم فيترك [illegible] النص القرآني مستقلاً عن السنة الشارحة له، والمبينة لما غمض منه، والمزيلة لما فيه من إشكال وتعارض [illegible] الظاهر، لأنه لم يتعرض لذكر أي حديث في تفسيره لهذه الآيات، وأشار للسنة إشارة في تفسيره لقوله [illegible] ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ قال:

---

(703) أبو مرويق. إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن. جـ 3. ص 227.

(704) تفسير خليفة. جـ 10. ص 474.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

"استناداً إلى روايات تذكر نزول عيسى آخر الزمان" ولم يتعرض لهذه الروايات، وكما بين الباحث سابقاً فإن هذه الروايات في الصحيحين وغيره من كتب العلم، بل إن فيها ما هو في أعلى درجات الصحة، وهي رواية مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:" **أُرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الكَعْبَةِ**، ..." وهذا السند من أصح الأسانيد كما صرح بذلك البخاري رحمه الله ويسمى هذا السند بسلسلة الذهب[705]، والأحاديث الواردة في نزول المسيح عليه السلام حكم عليها علماء السنة بالتواتر، وتقدم في هذا البحث أن التفسير بالأثور مقدم على التفسير بالرأي[706]، والذي يظهر ويترجح هو مذهب الجمهور لقوة أدلتهم [illegible] في هذه القضية الهامة، فمن أصول التفسير أن ينظر المفسر في كتاب الله ثم في سنة ﷺ ثم [illegible] عند علماء التفسير، بل من البديهيات في علم الأصول أن الرأي المخالف للنص باطل [illegible].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

(705) السعوي، ظاهر بن صالح ابن أحمد بن موهب. 1416هـ - 1995م. توجيه النظر إلى أصول الأثر. [illegible]: عبد الفتاح أبو غدة. حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية. ج 1. ص 420.

(706) ينظر ص 102 من هذا البحث.

(707) وقد فسر ابن عبد البر ما جاء من ذم للرأي في أقوال السلف أنه القياس على غير أصل، أو هو القياس الخارج عن السنة. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي. 1412هـ-1992م. الاعتصام. (تحقيق): سليم بن عيد الهلالي. السعودية:
[illegible] ابن عفان. ج 1. ص 133.

المبحث الخامس: خروج الدابة

من علامة الساعة المتفق عليها بين المفسرين خروج الدابة في آخر الزمان، وهذه الدابة تخرج في آخر الزمان عندما يترك الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض[708].

وخروج الدابة علامة من أشراط الساعة الكبرى، يخرجها الله ﷻ ليعلم الناس قرب انتهاء الدنيا وأن الحساب العادل للمؤمنين والكافرين، آت لا شك فيه، وأن التوبة لن تقبل في هذا الوقت، لأنها جاءت في غير [illegible] الحساب.

وقد [illegible] تثبت خروج الدابة في آخر الزمان، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[710].

وقد ذكر بعض المفسرين أن [illegible] منها أن طولها ستون ذراعا وأن رأسها رأس ثور، وأذنها أذن فيل، وصدرها صدر أسد.. وأوصاف [illegible] اختلاف بين أهل التفسير في صفتها وهيئتها كبيرة بل ذهب بعضهم إلى أنها تكون إنسان [illegible] أهل البدع والضلال، ذكره القرطبي عن بعض المتأخرين من أهل التفسير وفنده[711].

---

(708) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. 1999 م. *تفسير القرآن العظيم*. جـ 6. ص 210.

(709) طنطاوي، محمد سيد. 1998م. *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. جـ 10. ص 359.

(710) القرآن. النمل. 27: 84.

(711) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري. 1384هـ -1964 م. *الجامع لأحكام القرآن*. جـ 13. ص 236.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ونحن نؤمن بأن هناك دابة تخرج في آخر الزمان، وأنها تكلم الناس بكيفية يعلمها الله ﷻ أمَّا ما يتعلق بالمكان الذي تخرج منه هذه الدابة، وبالهيئة التي تكون عليها من حيث الطول والقصر، فنكل ذلك إلى [illegible] حيث لم يرد حديث صحيح يعتمد عليه في بيان ذلك(712).

وكذلك ورد فيها أحاديث صحيحة منها: ما رواه الإمام أحمد من حديث أبي أمامةﷺ، يرفعه إلى النبي ﷺ قال: [illegible] الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ، ثُمَّ يَعْمُرُونَ فِيكُمْ حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ فَيَقُولُ: [illegible] اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخَطَّمِينَ " وقال يونس، يعني ابن محمد، ثُمَّ يَعْمُرُونَ فِيكُمْ [illegible] فرفعه

وروى أبو [illegible] "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ [illegible] وَخُوَيْصَةَ أَحَدِكُمْ "(714).

وروى مسلم عن حذيفة [illegible] اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قالوا: نذكر الساعة، [illegible] تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ

(712) طنطاوي، محمد سيد. 1998م. التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ج 10. ص 359.

(713) ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. 2001 م. مسند أحمد بن حنبل. ج 36. ص 646. حديث رقم 22308.

(714) مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب في بقية من أحاديث الدجال. حديث رقم 2947. ج 4. ص 2267. وابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. 2001 م. مسند أحمد بن حنبل. ج 14. ص 162. حديث رقم 8446. ومسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب في بقية من أحاديث الدجال. حديث رقم 2947. ج 4. ص 2267.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

اليمن، تطرُدُ النَّاسَ إلى محشرهم"[715].

المطلب الثاني: تفسير الشيخ أبي مزيريق للدابة

يتبين مما سبق أن خروج الدابة متفق عليه بين المفسرين، لكن هناك بينهم اختلاف في وصفها، وسبب هذا الخلاف عدم وجود نص صريح يصفها ويبينها، ولهذا فسرها أبو مزيريق تفسيراً لغوياً، ثم أسقطها على الواقع المعاصر وفسرها بالسيارة، والطائرة، والدبابة، فقال: ﴿دَآبَّةً﴾ الدابة كل ما دب وتحرك ومشى، وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بأنها مواد الأرض كالمعادن والفحم والنفط، أما قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي تكلمهم بلسان الحال، أو تقطعهم إرباً إرباً في الحال[716].

وبناءً على تفسيره لهذه الآية، فإنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، إنه وعيد قد وقع في هذا الزمان، بأن أخرج الله لهم دابة من الأرض من الحديد والنحاس والفحم والنفط، تحطم الأجسام، وتقطع الأنام، بما لها من سرعة الحركة وقوة الاصطدام، وأن هذا الوعيد يقع للناس يوم ينسون ربهم، ويتركون كتابه وراء ظهورهم منبوذاً بينهم، يقع بعد ذلك هذا الوعيد الذي نراه الآن ونسمع به من آلات تحرق وتدمر، وحوادث السيارات والطائرات والدبابات التي تقتل وتكسر، ولا أحد رجع إلى الله، ولا أحد تدارك أمره بالتوبة إلى الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله[717].

---

(715) مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب في الآيات التي تكون قبل الساعة. حديث رقم 2901. ج 4. ص 2225.

(716) أبو مزيريق. إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن. ج 9. ص 74.

(717) المصدر نفسه. ج 9. ص 90، 106.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

هذا التفسير اجتهاد من المؤلف لعل ما دعاه إلى هذا الاجتهاد عدم وجود نص صحيح صريح في وصفها؛ فقد وصفت بأوصاف عديدة لكنها غير ثابتة بالنص الصحيح، وإن تناقلتها بعض كتب التفسير، [illegible] عاشور في تفسيره للدابة: والدابة: اسم للحي من غير الإنسان، مشتق من الدبيب، وهو المشي على الأرض وهو من خصائص الأحياء، ثم قال: وقد رويت في وصف هذه الدابة ووقت خروجها ومكانه أخبار [illegible] ضعيفة الأسانيد فانظرها في «تفسير القرطبي»[718] وغيره إذ لا طائل في جلبها ونقدها[719].

المطلب الثاني: [illegible] رأي المفسر

رأي المفسر في هذه المسألة [illegible] المفسرون من إثبات خروج الدابة في آخر الزمان، وأنها من علامات وأشراط الساعة [illegible] وتأويلها إلى قول منفرد لم يسبقه به أحد من المفسرين — حسب علم الباحث- وعلى [illegible] رأيه واجتهاده الخاص في مسألة لم يحسمها النص.

وبعد النظر في النصوص الصحيحة الواردة في الدابة يتبين لنا عدم تأويل المفسر؛ لأنها تعد من الأشراط الكبرى للساعة، وبين الحديث أنها إذا [illegible] النبوة، [illegible] يقول بأننا بلغنا ذلك الزمن -أي الزمن الذي ترفع فيه النبوة-، فقد روى الإمام أحمد ومسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال:

(718) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري. 1384هـ -1964 م. *الجامع لأحكام القرآن*. ج 13. ص 236.

(719) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. 1984 م. *التحرير والتنوير*. ج 20. ص 38.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

قال رسول الله ﷺ: " ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض "(720).

[illegible] منه ما رواه الامام أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺقال: " إن أول الآيات خروجاً: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها" (721)، بين هذا الحديث بأن طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة أولى الآيات خروجاً، وبأنهما متقاربتين. والله أعلم

المبحث السابع: تفسير الحروف المقطعة

المطلب الأول: ما هي الحروف المقطعة؟ وكم عددها؟ وكم تفسيرها

المراد بالحروف المقطعة هي [illegible] في أوائل بعض سور القرآن الكريم، وهي: "ألم، ألمص، ألر، ألمر، كهيعص، طه، طسم، طس، يس، حم عسق، ص، ق، ن".

اختلف أهل العلم في جواز تفسير هذه الحروف؛ فبعضهم قال لا يجوز تفسيرها وهي من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، يروى هذا القول عن [illegible] وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين.

(720) ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. 2001 م. *مسند الامام أحمد بن حنبل*. جـ 15. ص 468. حديث رقم 9752. ومسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان. حديث رقم 158. جـ 1. ص 137. والترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة. 1395 هـ-1975 م. *سنن الترمذي*. جـ 5. ص 264. حديث رقم 3072.

(721) ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. 2001 م. *مسند الامام أحمد بن حنبل*. جـ 11. ص 469. حديث رقم 6881. ومسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب في بقية من أحاديث الدجال. حديث رقم 2941. جـ 4. ص 2260. وابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. 2009 م. *سنن ابن ماجه*. أبواب الفتن. باب طلوع الشمس من مغربها. جـ 5. ص 187. حديث رقم 4069. وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. 2009 م. *سنن أبي داود*. كتاب الملاحم. باب أمارات الساعة. حديث رقم 4310. جـ 6 ص 369.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وذهب الجمهور إلى جواز ذلك بل إلى وجوبه؛ من أجل أن يتكلم فيها وتلتمس الفوائد التي تحتها، والمعاني التي تتخرج عليها، وأنكروا أن يكون في كتاب الله ما لا يفهم الناس معناه؛ واستدلوا بأدلة عديدة من الكتاب والسنة والقياس، استدلوا من القرآن بأربعة عشر آية منها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۝٢٤﴾ (722)، فالله سبحانه وتعالى أمر الناس بالتدبر في القرآن فلو كان غير مفهوم لما أمرهم بالتدبر، ومن السنة قوله ﷺ: «إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ فَتَمَسَّكُوا بِهِ» (723)، فلا فائدة من هذا الحديث كيف يمكن التمسك بالقرآن وهو غير مفهوم لهم، أما استدلالهم بقولهم فقالوا: إن في القرآن ما لا سبيل إلى العلم به لكان مثل مخاطبة العربي بلغة غير مفهومة له؛ وأيضاً قالوا المقصود من القرآن الإفهام فلو كان غير مفهوم كان الخطاب به عبثاً ولا يجوز على الحكيم (724).

---

(722) القرآن. محمد. 47:25.

(723) أخرجه الإمام مالك بلاغاً، والبيهقي وغيرهما عن [illegible] بألفاظ متقاربة عند الرازي في تفسيره. مالك بن أنس. 1985م. *الموطأ*. كتاب القدر. باب النهي عن [illegible]. ج 2. ص 899. حديث رقم 3. والبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي. 1424 هـ. [illegible] تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة. ج 10. ص 195. حديث رقم (20437). الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه. 1411 – 1990 م. *المستدرك على الصحيحين*. ج 1. ص 172. حديث رقم (319). والدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان [illegible] البغدادي. 1424 هـ – 2004 م. *سنن الدارقطني*. حققه: شعيب الأرنؤوط، وآخرون. بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة. ج 5. ص 440. حديث رقم: (4606). قال ابن عبد البر في التمهيد: "هذا أيضا محفوظ معروف مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد". ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي. 1387 هـ. *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد*. (تحقيق): مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري. المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية. ج [illegible]. ص 331. الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. 1420 هـ. *مفاتيح الغيب*. بيروت: دار إحياء التراث العربي. الطبعة: الثالثة. ج 2. ص 250.

(724) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي. 1422 هـ. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. ج 1. ص 82. والرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. 1420 هـ. *مفاتيح الغيب*. ج 2. ص 250.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

لعل القول الراجح في هذه المسألة هو قول الجمهور؛ لقوة أدلتهم ووضوحها، وعليه سار أغلب المفسرين في كتبهم فكل مفسر اجتهد في تفسيره لها.

المطلب الثاني: أقوال العلماء في تفسيرها

وعلى قول الجمهور ذهب العلماء في تفسيرها إلى أقوال عديدة، وبعضها متداخل في بعض من حيث المعنى، يذكر الباحث هنا بعضاً منها كتوطئة لبيان موقف المفسر منها، على سبيل المثال لا الحصر:

1-هذه الحروف هي اسم من أسماء القرآن الكريم، قالوا: إن قوله تعالى "ألم" هي اسم للقرآن الكريم مثل كلمة "الفرقان".

2-هي فواتح افتتح الله بها القرآن الكريم، وهي حروف يستفتح بها كلامه، وقالوا لكل كتاب سر وهي سر القرآن.

3-هي من أسماء الله أو هي اسم الله الأعظم، يروون هذا عن ابن عباس وابن مسعود، بعضها من أسماء الله عز وجل، وبعضها من صفاته، ولكل حرف من تلك الحروف معنى غير معنى الحرف الآخر، مثل (الر) (حم) (ن) حروف الرحمن مقطّعة.

4-هي قَسَم أقسم الله به، وهو من أسمائه جل في علاه.

5-هي حروف مقطعة من أسماء وأفعال، كل حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الذي.

6-هي حروف يشتمل كل حرف منها على معان شتى مختلفة.

7-هي حروف من هجاء أسماء الله.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

8-وقيل بأن الله افتتح بها بعض سور القرآن ليفتح لاستماعه أسماع المشركين؛ لأنهم أعرضوا عن سماع القرآن بمكة فنزلت ليستغربوها فيفتحوا لها أسماعهم فيسمعون القرآن بعدها فتجب عليهم الحجة[725].

وقد استوعب هذه الأقوال وفصلها إياس محمد حرب آل خطاب في كتابه، "القول المعتبر في بيان الإعجاز للحروف المقطعة من فواتح السور" [726].

المطلب الثالث: رأي الشيخ أبي مزيريق في تفسير الحروف المقطعة

في بداية تناول المفسر لمعنى هذه الحروف وتفسيرها؛ عرج على من سبقه من المفسرين في تفسيرها وبين أن بعضهم لم يوفق للصواب لأنه لم يسلك مسلك القرآن في تفسيره، وبيّن أن طرقهم في تفسيرها متشعبة وملتوية لا توصل إلى المطلوب، بل تتجه اتجاهات مختلفة وصلت الآراء فيها إلى أكثر من عشرين قولاً، وإن مصادر بعضها غير موثوقة؛ كتفسيرهم لها باستخراج الأعداد الحسابية منها والتنبؤ بأحداث مستقبلية، لعله يشير إلى مثل ما حدث من زيارة وفد من اليهود منهم حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف، عندما أردوا تفسير "ألم" بأن ملك هذه الأمة لا يتجاوز إحدى وسبعين سنة، استناداً إلى تفسير الحروف بالأرقام [727]، ويرى أن بعض تفسيراتها جاء من توهمات شخصية وآراء وعقائد من يعتقد في أسرار الحروف وتأثيراتها على النفوس، كرواية أن لكل حرف من هذه الحروف خادماً من

---

(725) لخص الباحث ما سبق ذكره من الأقوال من كتب التفسير. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. 2000. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. جـ 1. ص 205. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي. 1422 هـ. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. جـ 1. ص 82. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. 1422 هـ. زاد المسير في علم التفسير. المحقق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار الكتاب العربي. جـ 1. ص 25.

(726) القول المعتبر في بيان الإعجاز للحروف المقطعة من فواتح السور، لمؤلفه: إياس محمد حرب آل خطاب، نشرت الطبعة الأولى من سنة 2011 م، في مطابع برنتك للطباعة والتغليف –السودان– الخرطوم. هذا الكتاب مفيد لمن أراد التوسع في أقوال العلماء في الحروف المقطعة.

(727) الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر. 1415 هـ. *لباب التأويل في معاني التنزيل*. تصحيح: محمد علي شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية. جـ 1. ص 225.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الملائكة، يلبي الداعي ويجيب المنادي، ثم قال: وكل هذه وأمثالها بعيدة كل البعد عن هذا الكتاب الذي يرفض الرجم بالغيب وأنكر أشد الإنكار على الكهانات والتنجيم وأصحاب الأوهام والخيالات [728].

ثم ذكر بعد ذلك ما ينبغي على المفسر أن يسلكه كي يأتي تفسيره موافقاً للصواب، وبيّن أن الباحث في معاني هذا الكتاب يجب عليه أن يتجه في بحثه رسم الخطة التي وضعها هذا الكتاب، لا يحيد عنها ولا ينصرف إلى غيرها من الأوهام والاحتمالات، وأن الباحث إذا سلك هذا الطريق طالباً الحقيقة سيجد الأمر واضحاً من الغرض الذي يهدف إليه، من وضع الحروف الهجائية في بداية بعض السور، ليشير إلى أن هذا الكتاب مكتوب بهذه الحروف المعروفة للعرب، والتي منها يتألف كلامهم من شعر وخطابة ومراسلة ومحادثة، والقرآن يختلف عنها في تراكيبه وأساليبه وإعجازه جملة وتفصيلاً بحيث لا تجد مشابهة بينه وبينها، إلا في مفرداته وحروفه فقط، وهذا هو التحدي الكامل والإعجاز الشامل، ثم بين المفسر أنه عندما ننظر في القرآن نظرة الفاحص المدقق نجد أول آيات نزلت من القرآن على الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [729]، فنجد في هذه الآيات جرى ذكر التعلم بالقلم، مع ما سبقه من الأمر بالقراءة وتعليمها بالقلم [730].

وفي قوله تعالى: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [731]، أقسم بالقلم وما يسطرون، وما يسطرونه هو الكلام المركب من الحروف، وهذه الحروف التي تكتب هي: "ألف، لام، ميم" إلى آخر ما يكتب من حروف الهجاء الموجودة في أوائل بعض سور القرآن، وبالفحص وجدنا هذه الحروف تشير إلى

(728) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 50.

(729) القرآن. العلق. 96: 1-5.

(730) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 50-51.

(731) القرآن. القلم. 68: 1.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

جميع حروف الهجاء الموجودة في اللسان العربي، باعتبار أن هذه الحروف لم تكن منقوطة أول ما كتب القرآن بها، ثم بين أن هذه الحروف عند إهمال النقط نجدها متضمنة جميع الحروف، مثلاً قال: فصورة النون مثل صورة الباء والتاء والثاء الياء، فذكرت النون ولم تذكر بقية مثيلاتها اكتفاء بها.. (732)

خلاصة تفسير الشيخ لهذه الحروف أن معناها:

1-فيها إشارة للعرب بأن هذا الكتاب مكتوب بهذه الحروف التي تعرفونها ويتألف منها كلامكم، ومع هذا فإن كلامكم والقرآن الكريم يختلف تمام الاختلاف في الأسلوب والتركيب والإعجاز، ولا تشابه إلا في هذه الحروف.

2-أن جميع حروف الهجاء منطوية تحتها، وأن باقي الحروف مشابه لما ذكر فلم يكررها واكتفى بمثيلاتها.

وفي هذا تحد لهم وبيان لعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن المؤلف من هذا الحروف التي يعرفونها ويستخدمونها.

ثم قال المفسر بعد بيانه لمعناها: "وهذا الجانب لا يلاحظ لي سر إعجاز القرآن ، لأن كل باحث يجد شيئاً جديداً يحتاج إلى بيان، ومن جملته ما ذكره [illegible] من وضع جميع حروف اللسان العربي ضمناً، وإن لم يقل به أحد المفسرين فيما اطلعت عليه من تفاسيرهم، ولعل [illegible] ذكر ذلك ولم نطلع عليه، أو كان ولم يعثر عليه، فسبحان الذي علم الإنسان مالم يعلم، من هذا كله نرى أن العرض لهذه الحروف؛ هو تذكير الناس بأن هذا القرآن مؤلف من حروف وكلمات معروفة بادية بينهم جميعاً، لكن المعاني والتراكيب وما فيها من أغراض وأهداف تفرق بينه وبين كلامهم، يدركه الباحث عندما يقارن بين

(732) أبو مزيريق. *إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن*. ج 1. ص 51.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

كلام شعرائهم وخطبائهم ومتكلميهم على مختلف طبقاتهم، وبين أسلوب القرآن، وهو دليل على أنه من عند الله، لأنه مركب من حروف يعرفها كثير من الناس، ومع هذا فقد عجزوا عن الإتيان بمثله [733].

صرح المفسر بأن هذا القول اجتهاد منه في فهم معنى هذه الحروف وأنه لم يسق إليه على حسب علمه، وبعد البحث في أقوال السابقين يتبين للباحث أن هذا القول بمجموعه لم يسبق إليه حسب ما اطلع عليه الباحث من كتب التفسير، لكن هناك ما هو قريب منه ما ينقله المفسرون عن قطرب [734]، ذكر هذا القول ابن عطية "وقال قطرب وغيره: «هي إشارة إلى حروف المعجم، كأنه يقول للعرب: إنما تحديتكم بنظم من هذه الحروف التي عرفتم، فقوله الم بمنزلة قولك أ، ب، ت، ث، لتدل بها على التسعة والعشرين حرفا»" [735]، فهذا القول قريب من تفسير الشيخ أبي مزيريق لها، والقول بأنها للإعجاز قول كثير من المفسرين كما ذكر الدكتور إحسان طه ياسين [736]، ولعل الجديد عند المفسر هو إشارته إلى الفرق بين كلام العرب والقرآن مع اتحاد الحروف وبيان الإعجاز فيه، فالقرآن لم يشابه كلامهم السابق، ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثله ولو بسورة.

---

(733) المصدر السابق. جـ 1. 52.

(734) هو محمد بن المستنير كنيته أبو علي، أحد أئمة اللغة أخذ عن سيبويه وجماعة من علماء البصرة، قيل سمي قطرب لأن سيبويه كان يقول له: إنما أنت قطرب ليل، لأنه كان حريصاً على التبكير للأخذ منه. الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري. 1405 هـ - 1985 م. *نزهة الألباء في طبقات الأدباء*. (تحقيق): إبراهيم السامرائي. الأردن: مكتبة المنار الزرقاء. الطبعة: الثالثة. ص 77. القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف. 1406 هـ - 1982م. *إنباه الرواة على أنباه النحاة*. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار الفكر العربي - بيروت: ومؤسسة الكتب الثقافية. جـ 3. ص 219.

(735) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي. 1422 هـ. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. جـ 1. ص 82.

(736) إحسان طه ياسين. 2012 م. "الحروف المقطعة في القرآن الكريم -دراسة تفسيرية". *مجلة جامعة تكريت للعلوم*. المجلد 19. العدد 4. إبريل. ص 188.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA